[فضل القناعة برزق الله تعالى]

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» مسلم.

قوله ﷺ: (قد أفلح) أي فاز وظفر بالمقصود (من أسلم) أي انقاد لربه (ورزق) أي من الحلال (كفافا) أي ما يكف من الحاجات ويدفع الضرورات (وقنعه الله) أي جعله قانعا بما آتاه. (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي).

* * *

فضل اللجوء إلي الله

- عَنْ عِمْرَانُ قَالَ قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ قَالُوا وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» مسلم.

قوله ﷺ: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب» فيه: عظم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبي ﷺ وأمته - زادها الله فضلا وشرفا -، وقد جاء في صحيح مسلم سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا.

قوله ﷺ: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابي ومن وافقه وحاصله، أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عز وجل فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم. ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها. وأما تطبب النبي ﷺ ففعله ليبين لنا الجواز. والله أعلم.
وقوله ﷺ: «وعلى ربهم يتوكلون» قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري - رحمه الله تعالى اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر فبتيسره. وقال سهل بن عبد الله التستري

رضي الله عنه: التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد، وقال أبو عثمان الجبري التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه. وقيل التوكل أن يستوي الإكثار والتقلل. شرح صحيح مسلم النووي.

* * *

فضل ترك سؤال الناس

- عَنْ ثَوْبَانُ قَالَ قَالَ رَسُولِ الله ﷺ :«مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا» صَححه الألباني.

قول الرسول ﷺ : (من تكفل) من استفهامية أي ضمن والتزم (لي) ويتقبل مني (أن لا يسأل الناس شيئا) أي من السؤال أو من الأشياء (فأتكفل) بالنصب والرفع أي أتضمن (له بالجنة) أي أولا من غير سابقة عقوبة، وفيه إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة (فقال ثوبان أنا) أي تضمنت أو أتضمن (فكان) ثوبان بعد ذلك (لا يسأل أحدا شيئا) أي ولو كان به خصاصة.

* * *

[معنى الإجمال في الطلب]

(أحبتى في الله)

وقد حض رسول الله ﷺ أصحابه على الإجمال في الطلب، وعدم التشوف والحرص، فقال في الحديث الذي رواه ابن ماجه [1] من حديث جابر - رضي الله عنه -:«**يا أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم**»، وصححه الألباني [2]. وعند البزار [3] من حديث حذيفة - رضي الله عنه - بنحوه. وقال البزار عقبه: لا نعلمه عن حذيفة إلا بهذا الإسناد.

(١) السنن، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة (٢/٧٢٤).
(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢/٦).
(٣) مسند البزار (كشف الأستار) (٢/٨١ - ٨٢).

قلت: وما قبله وما بعده يشهد له.

وقد روى الترمذي [1] حديث خولة بنت قيس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا المال خَضِرَة حلوة، من أصابه بحقه بورك له فيه، ورُبَّ متخوِّضٍ [2] فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذا صححه الألباني [3].

وجاء عند البخاري [4] من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن أناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نَفِدَ ما عنده فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبَّر يصبِّره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر».

وجاء أيضًا في حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه - أنه سأل النبي ﷺ ثلاث مرات وكل مرة يعطيه ثم قال: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع».

وجاء في هذا الحديث أيضًا أن حكيمًا قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ [5] أحدًا بعدك شيئًا، حتى أفارق الدنيا.

فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه.

ثم إن عمر - رضي الله عنه - دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا.

فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، إني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه.

---

(١) الجامع، كتاب الزهد، باب أخذ المال بحقه (٤٣/٧ - ٤٤).

(٢) أي: ربَّ متصرف في مال الله تعالى بما لا يرضاه الله، وقيل: هو التخليط في تحصيل المال من غير وجهه كيف أمكن. النهاية في غريب الحديث (٨٨/٢).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢٨٠/٢).

(٤) الصحيح، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٣٣٥/٣).

(٥) لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا: أي لا آخذ من أحد بعدك شيئًا، فأنقص بهذا الأخذ ماله، كما في النهاية في غريب الحديث (٢١٨/٢) بتصرف.

فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي، أخرجه البخاري [١] ومسلم [٢] وآخرون. وزاد إسحاق بن راهويه في مسنده في آخر خبر حكيم المتقدم لفظ: " فمات حين مات وإنه لمن أكثر قريش مالاً " [٣].

ومما يؤخذ من الأحاديث السابقة:

١ - الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها والصبر حتى يأتي الرزق بغير مسألة.

٢ - قد يقع الزهد مع الأخذ فإن سخاوة النفس هو زهدها.

٣ - أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الرزق.

٤ - أن الإجمال في الطلب مقرون بالبركة.

٥ - البركة تكون في الشيء الكثير وفي الشيء القليل أو اليسير وليست مقصورة فقط على ما هو كثير كما يفهمه بعض الناس وذلك لأنها خلق من خلق الله تعالى [٤].

* * *

من مفاتيح الرزق: الاقتصاد في المعيشة وعدم التبذير

(أحبتي في الله)

يقول الله عز وجل عن عباد الرحمن: {وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ

---

(١) الصحيح، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٣/٣٣٥). وكتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله (٦/٤٨ - ٤٩). وكتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ◘ يعطي المؤلفة قلوبهم (٦/٢٤٨). وكتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا (١١/٢٤٤). وباب قول النبي ◘ هذا المال خضرة حُلوة (١١/٢٥٨).

(٢) الصحيح، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٢/٧٢٧ - ٧٢٩)، وباب فضل التعفف والصبر (٢/٧٢٩).

(٣) فتح الباري (٣/٣٣٧)، ولم أقف على هذه الزيادة في (إتحاف الخيرة المهرة) للبوصيري، ولا في (المطالب العالية) لابن حجر. فالله أعلم.

(٤) انظر: فتح الباري (٣/٣٣٧) بتصرف.

يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾} [الفرقان: ٦٧].

الإسراف: هو تعدي الحدود في النفقة. لاسيما إذا كان ذلك في معصية الله عز وجل، والقوام: الإنفاق في طاعة الله عز وجل.

ولو أنفق الإنسان كل ماله فالإسراف أن ينفق ولو درهماً أو نصف درهم في معصية الله عز وجل، والقوام: أن ينفق ما ينفقه في طاعة الله سبحانه وتعالى.

إذاً عندنا نفقة في معصية الله عز وجل - سواءٌ أكانت قليلة أم كثيرة - فهي تدخل في باب الإسراف، وفاعلها من الذين لا يحبهم الله عز وجل، وعندنا أمر آخر وهو النفقة فيما يرضي الله سبحانه وتعالى، فهي طاعة لله عز وجل، ولا تدخل في باب الإسراف أبداً ولو أنفق الإنسان كل ماله، ولذلك جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه بماله كله ذات يوم إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حجر رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ :«يا أبا بكر! ما تركت لأهلك؟» قال: (تركت لهم الله ورسوله)، فدعا له الرسول ﷺ بخير، وكعب بن مالك رضي الله عنه حينما أنزل الله توبته في قوله سبحانه{وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟} [التوبة: ١١٨]، جاء فقال: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي شكراً لله، فقال له رسول الله ﷺ :«أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»، يقول العلماء في هذين الخبرين الصحيحين: أما الأول فإن أبا بكر رضي الله عنه يعرف عنه رسول الله ﷺ الجلد والصبر، فهو يتحمل شظف العيش، ويستطيع أن يتحمل كل شيء في ذات الله عز وجل، فقبل منه الرسول ﷺ كل ماله، أما بالنسبة لـ كعب بن مالك فقد عرف منه الرسول ﷺ أنه لا يتحمل شظف العيش، فأمره أن يحتفظ بشيء من ماله، ويكفي أن يقدم جزءاً من ماله لله عز وجل شكراً لله سبحانه وتعالى.

فالمال - ولو كان - شيئا بسيطا - لايجوز أن تنفقه في معصية الله فإنه محرم، أما الإنفاق في المباحات فإذا وصل إلى درجة المبالغة فيدخل في قول الله تعالى: (يُسْرِفُوا)، أي أن الإسراف هو المبالغة ولو كان في بعض الأمور المباحة؛ لأن الله تعالى قد ذم قوماً فقال:{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا} [الأحقاف: ٢٠]، فهذه صفة الكافرين يجب على

المسلم أن يبتعد عنها حتى لا تكون صفة من صفاته.

إذاً: القوام - وهو قوام الحياة - يكون وسطاً بين الإسراف وبين التقتير، فالإسراف هو المبالغة في البذل، والتقتير هو البخل في البذل، فكما حرم الله عز وجل وذم الإسراف والزيادة في البذل ولو كان ذلك في المباحات فقد ذم الله عز وجل التقتير، والتقتير يشمل أموراً، منها: منع ما أوجب الله عز وجل من النفقات والزكاة والصدقات الواجبة إلى غير ذلك، ومن التقتير: البخل على النفس وعلى الأهل، بحيث يصبح ذلك الإنسان لا يؤدي ما أوجب الله عز وجل عليه تجاه نفسه وتجاه أهله وذويه الذين أمرهم الله عز وجل بالإنفاق عليهم، قال عز وجل: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا} [الطلاق: ٧]، إذاً التقتير محرم وممنوع، كما أن الإسراف أيضاً محرم وممنوع، فلا يجوز للإنسان أن يبخل بما أوجب الله عليه، أما إذا وصل الأمر إلى البخل بالأمور الواجبة العظيمة كالبخل بالزكاة - نعوذ بالله - أو البخل في النفقات الواجبة؛ فإن هذا من أعظم المحرمات عند الله عز وجل، لاسيما إذا كان في الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام، قال عز وجل: {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ} [فصلت: ٦ - ٧]، وقاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه من منع الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ وقال: (والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً - أو عناقاً - كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه).

إذاً معنى ذلك أن التقتير إذا وصل إلى البخل بما أوجب الله عز وجل فهنا يكون الوعيد الشديد، نسأل الله العافية والسلامة.

فالله تعالى قد توعد الذين يبخلون بالزكاة بأنه يُحمى على هذا المال في نار جهنم، ثم يكوى به الجنب والجبين والظهر، وكلما برد أعيد فأحمى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - وهو يوم القيامة - حتى يقضى بين العباد، ثم يرى مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، والله تعالى يقول: {وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾}
[التوبة: ٣٤ - ٣٥].

فعلى المسلم أن يحسب كل ماله على رأس كل سنة مالية بالنسبة له؛ ليدفع ربع عشر هذا المال بعد أن يحصيه إحصاءً كاملاً، وبعد أن يخصم منه ما عليه من ديون، ثم بعد ذلك عليه أن يؤدي ربع عشر هذا المال، وهذا الذي يقدمه هو الذي يقربه إلى الله عز وجل يوم القيامة، ولذلك الرسول ﷺ يقول: «داووا مرضاكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع».

(أحبتى في الله)

إن المال أمانة بيد الإنسان، يُسأل عنها يوم القيامة من أين أتى به؟ وفيم أنفقه؟

لذا وجب التصرف فيه بالعدل، فيحفظ حيث يجب الحفظ، ويبذل حيث يجب البذل، فالإمساك في محل البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير، وسلوك الوسطية هو المحمود، مع مراعاة البذل والجود ما أمكن، والخير كل الخير، والبركة والنماء باتباع الشرع، ومن توجيهات القرآن الكريم والسنة المشرفة بهذا الخصوص:

أوّلاً: حسن التّدبير والاقتصاد في المعيشة:

قال الله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}
[الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾}
[الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

وقال: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾} [الإسراء: ٢٩].

وقال: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا}
[الفرقان: ٦٧].

ومما ينبغي ملاحظته من خلال النظر في هذه الآيات الكريمات ما

يلي:

١ - الأمر بالاقتصاد في العيش وهو التوسط، من غير بخل أو تقتير أو تقصير بالحقوق والواجبات، ومن غير سرف أو تبذير في الإنفاق، فيعطي فوق طاقته، أو يصرف فوق دخله.

٢ - أن الذي يسرف ويبذر في النفقة من مأكل ومشرب وملبس وغيرها يقع في الحسرة والندامة والحرج الشديد لذهاب البركة من رزقه ونفاد ما بيده.

٣ - النهي عن بسط اليد وكثرة الإعطاء فوق الطاقة إنما يكون ذلك في حق من لا يستطيع الصبر على الكفاف، فيقع بهذا البذل في الحسرة على ما خرج من يده مع حاجته إليه، وأما من وثق بموعود الله عز وجل وجزيل ثوابه فيما أنفقه مع صبره واحتماله فغير مراد بالآية [١].

٤ - أفاد بعض العلماء أن التبذير الذي جاء في الآية هو الإنفاق في غير حق. قاله ابن مسعود، وابن عباس [٢] - رضي الله عنهما - وقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى مجاهد قال: وأنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن إسرافًا، ولو أنفقت صاعًا في معصية الله كان إسرافًا [٣].

وقد علق البخاري بصيغة الجزم واللفظ له [٤] قوله ﷺ: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة**» [٥]. وصله كل من الترمذي [٦]، والنسائي [١]، وابن ماجه [٢]، والطيالسي [٣]، وابن أبي

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٥٥/١٠) بتصرف.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣/٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٤٦٥/٥).
(٤) الصحيح، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده (٢٥٢/١٠).
(٥) المخيلة: بوزن عظيمة، وهي بمعنى الخيلاء وهو التكبر، وقيل: بوزن مفعلة من اختال إذا تكبر، والخيلاء، التكبر ينشأ عن فضيلة يتراءاها الإنسان من نفسه أي يتصورها ويتوهمها. انظر: فتح الباري (٢٥٣/١٠) بشئ من التصرف.
(٦) الجامع، كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (١٠٦/٨).

الدنيا [٤]، والحاكم [٥]، كلهم وصلوه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا، وزاد بعضهم لفظ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، واقتصر بعضهم على هذا اللفظ الأخير فحسب. والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، كما حسنه الترمذي. كما علق البخاري بصيغة الجزم أثر ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة " [٦]، وصله كل من عبدالرزاق[٧]، وابن أبي شيبة [٨]، والدينوري [٩]، والطبري [١٠]، وابن أبي حاتم [١١] من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس وهو عند عبدالرزاق والطبري وابن أبي حاتم بلفظ: " أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة "، وهذا الأثر صحيح [١٢].

قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: " هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد، ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال " [١٣].

ومما يؤيد أن حسن التدبير والاقتصاد في المعيشة - يمنع بإذن الله - الفقر ويجلب الرزق وتحصل معه البركة، هو ما جاء في حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عال من اقتصد» عند كل من ابن أبي

(١) السنن، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة (٧٩/٥).
(٢) السنن، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (١١٩٢/٢).
(٣) المسند، حديث (٢٣٧٥).
(٤) الشكر، حديث (٥١)، وفي التواضع والخمول، حديث (١٥٧).
(٥) المستدرك (١٣٥/٤).
(٦) الصحيح، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: قل من حرم زينة الله (٢٥٢/١٠).
(٧) المصنف (٢٧٠/١١).
(٨) المصنف (٤٠٥/٨) و(٩٥/٩ - ٩٦) بنفس اللفظ.
(٩) عزاه له الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٥٣/١٠) ولم أقف عليه في المجالسة له.
(١٠) جامع البيان (٣٩٤/١٢).
(١١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٤٦٥/٥).
(١٢) انظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير (٤٢٠/١).
(١٣) فتح الباري (٢٥٣/١٠).

شيبة [١]، وأحمد [٢]، والطبراني في الكبير [٣]، والأوسط [٤]، والشاشي [٥]، قال الهيثمي في أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف [٦].

قلت: هو ليِّن يكتب حديثه للاعتبار، وقد حسن الحديث السيوطي[٧]، لكن تعقبه الألباني فضعفه [٨]. قلت: لكن الحديث يشهد له ما قبله كما أن له شواهد منها حديث - ابن عباس رضي الله عنهما - مرفوعا: " ما عال مقتصد قطُّ " عند الطبراني في الكبير [٩]، والأوسط [١٠]. قال الطبراني عقبه في (الأوسط): " لم يرو هذا الحديث عن أبي روق إلا خالد بن يزيد تفرد به هشام بن خالد "، وقال الهيثمي بعد أن عزاه للطبراني في الكتابين: " ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف " [١١]، لكن أشار محقق (المعجم الكبير) أن الحديث منقطع.

قال المناوي [١٢] : " أي ما افتقر من أنفق قصدًا، ولم يتجاوز إلى الإسراف، والمعنى إذا لم يبذر بالصرف في معصية الله ولم يقتر فيضيق على عياله ويمنع حقا وجب عليه شحا وقنوطا من خلف الله الذي كفاه المؤمن ".

(أحبتى في الله)

فالذين يسرفون هم المفرطون الذين يبالغون في إنفاق المال فيضعونه في غير محله الشرعي وكأنه ملك لهم يتصرفون فيه حيث شاءوا وكيف

(١) المصنف (٩٦/٩).
(٢) المسند (٤٤٧/١).
(٣) المعجم الكبير (١٣٣/١٠).
(٤) المعجم الأوسط (٤٤/٦).
(٥) المسند (١٦٢/٢).
(٦) مجمع الزوائد (٢٥٢/١٠).
(٧) الجامع الصغير (١٤٦/٢).
(٨) ضعيف الجامع (ص ٧٣٦).
(٩) ١٢٣/١٢).
(١٠) ١١٤/٩ - ١١٥).
(١١) مجمع الزوائد (٢٥٢/١٠).
(١٢) فيض القدير (٤٥٤/٥).

شاءوا، والواقع أنه أمانة عندهم من الله سبحانه وتعالى استخلفهم فيها لينظر كيف يعملون.

ولهذا أدب الله رسوله ﷺ على هذا المنهج القويم، فقال:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ } [الإسراء: ٢٩]، فلابد أن يكون الإنسان متوسطاً في الصرف، وألا يكون مسرفاً وألا يكون مقصراً، فالحد الوسط هو المنهج الصحيح وهو الاعتدال في هذا الباب، الذين يفرطون في جانب الإنفاق يسرفون فيبالغون في الإنفاق، سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة، فيتجاوزون الحد المرضي شرعاً، ففي أمور الآخرة ينفقون أكثر مما حدده الشارع ويريدون بذلك المبالغة فيرجعون إلى الحد الذي ذكرناه في الإفراط في العبادة.

ولذلك فإن رسول الله ﷺ لما سمع أن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه أنفق جذاذ نخله جميعاً في يوم واحد، غضب عليه غضباً شديداً، وعندما سمع أن رجلاً من الأنصار - وكان عليه دين - قد دبر ستة أعبُد، فعندما توفي جمعهم رسول الله ﷺ ورد هذا التصرف وأقرع بينهم، فأعتق اثنين وأرق أربعة، وجعل له الثلث فقط.

وقد كان كثيراً ما يرد التصرفات في هذا الجانب إذا كان فيها غلو ومبالغة، فقد قال لـ كعب بن مالك عندما بشره بأن الله قد تاب عليه: (يا كعب بن مالك! أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، فقلت: يا رسول الله! أمن عند الله أم من عندك؟ فقال: بل من عند الله، فقلت: يا رسول الله! إن من تمام توبتي أن أخرج من مالي كله في سبيل الله، فقال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك).

وكذلك عندما جاء يعود سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع وهو مريض قال: (قلت له: يا رسول الله! إني ذو مال ولا يرثني إلا بنية لي، أفأتصدق بمالي كله في سبيل الله؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بثلثيه؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بثلثه؟ قال: فالثلث والثلث كثير - وفي رواية: كبير - إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، فقلت: يا رسول الله! أأخلف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليه حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك، وعسى الله أن ينفع بك

أقواماً ويضر بك آخرين)، فكان سعد آخر العشرة موتاً، وورثه اثنا عشر ولداً من أولاده لصلبه.

فرسول الله ﷺ لم يقبل من أولئك المبالغة في الإنفاق، وفي المقابل قد يقبل من بعض الناس ذلك؛ لعلمه بقوة إيمانه واستقامته على المنهج كـ أبي بكر، فقد خرج من ماله كله في سبيل الله وقبل ذلك منه رسول الله ﷺ ؛ لما جعل الله في قلبه من الإيمان والقناعة؛ ولأنه مكتسب عارف بأمور التجارات أيضاً؛ ولأنه - قطعاً - سيؤدي حقوق عياله ولا يمكن أن يظلمهم حقاً لهم، فلذلك قبل منه رسول الله ﷺ ذلك، أما من سواه فكان رسول الله ﷺ يرد عليهم ولا يقبل منهم هذا النوع من المبالغات.

وكذلك فإن الذي يبالغ في السرف فيما يتعلق بأمور الدنيا لابد أن يكون من المبذرين وهم إخوان الشياطين، وهذا النسب من شر الأنساب، نسأل الله السلامة والعافية.

* * *

[من أضرار التبذير]

وقد بين الله سبحانه وتعالى ضرر التبذير وأثره العظيم، وبين أنه سبحانه وتعالى لا يحب المسرفين، فالسرف في أمور الدنيا يقتضي من الإنسان أن تكون الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه وأن يحبها حباً شديداً فهو يتتبع موضاتها ويشتغل بها غاية الاشتغال، فكلما ازداد حطبها ازداد لهبها، ويزداد الإنسان ولوعاً بها ويتعلق قلبه بها حتى يؤثرها على الآخرة نسأل الله السلامة والعافية، وقد قال الله تعالى: { مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾} [الشورى: ٢٠]، وقال تعالى: {فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ } [البقرة: ٢٠٠].

وقال تعالى: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾} [الإسراء: ١٨ - ١٩].

كذلك في المقابل التقصير في مجال الإنفاق مقتضٍ للبخل، وأن لا

يؤدي الإنسان الحقوق التي عليه، فالذي يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده شر الناس، كما قال رسول الله ﷺ: «شر الناس من منع رفده وأكل وحده وضرب عبده».

قوله: (من منع رفده) معناه: منع الماعون ولم يعط خيره للآخرين، فلم ينفعهم مما آتاه الله، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ننفق مما آتانا فقال: {ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد: ٧].

وهذا يشمل الإنفاق على النفس، والأهل، والجيران، والإنفاق في أمور الدنيا، والإنفاق في أمور الدين، وتركه من التقصير والتقتير وهما مذمومان شرعاً.

فالمقترون مقصرون عن أداء الحقوق وهم متصفون بصفة البخل التي هي شر الصفات، والذي يتصف بها ويصاب بالشح لابد أن يبتلى بنقص الإيمان وتراجعه دائماً، ولذلك قال الله تعالى: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} [التغابن: ١٦]، فالشحيح لا يفلح أبداً، فلذلك لابد من التوسط في هذا المنهج بين المبالغة بالإنفاق وبين التقتير والتقصير.

* * *

[أمور تساعد على الإقتصاد في المعيشة]

ومما يساعد على الاقتصاد في المعيشة وحصول البركة في المال كيل الطعام، فقد ثبت عن الرسول ﷺ فيما أخرجه البخاري [(١)]، وابن ماجه [(٢)]، وأحمد [(٣)]، والطبراني [(٤)] أنه قال: «كيلوا طعامكم يُبَارَكْ لكم فيه». هذا لفظهم، وليس فيه عند البخاري لفظ " فيه "، وقال البوصيري [(١)]: إسناد ابن ماجه صحيح.

---

(١) الصحيح، كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل (٣٤٥/٤).
(٢) السنن، كتاب التجارات، باب ما يرجى في كيل الطعام من البركة (٧٥٠/٢).
(٣) المسند (١٣١/٤)، (٤١٤/٥).
(٤) المعجم الكبير (١٢١/٤)، (٢٧٣/٢٠).
(١) مصباح الزجاجة (١٨٥/٢).

وقد بين العلماء معنى هذا الحديث وكيف يكون الكيل فيه بركة بما يلي:

١ - قال ابن بطال: الكيل مندوب إليه فيما ينفقه المرء على عياله، والمعنى أخرجوا بكيل معلوم يبلغكم إلى المدة التي قدَّرتم.

٢ - قال ابن الجوزي: يشبه أن تكون هذه البركة للتسمية عليه عند الكيل.

٣ - إن الكيل - غالبًا - يرافقه طلب البركة والدعاء بذلك.

٤ - الكيل محمول على الطعام الذي يشترى فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع، وإذا لم يمتثل الأمر فيه نزعت البركة منه لشؤم العصيان، وبناءً على هذا فالكيل بمجرده، لا تحصل به البركة ما لم ينضم إليه أمر آخر وهو امتثال الأمر فيما يشرع فيه الكيل، كما لا تنزع البركة من المكيل بمجرد الكيل ما لم ينضم إليه أمر آخر كالمعارضة أو المخالفة، ونحوهما.

٥ - ويحتمل أن المراد بالكيل هنا هو عند الادخار طالبين من الله البركة، واثقين بالإجابة، أما من يكيل بعد ذلك ليتعرف مقداره فيكون ذلك شكًا في الإجابة فيعاقب بسرعة نفاده.

٦ - البركة التي تحصل بالكيل بسبب السلامة من سوء الظن بالخادم لأنه إذا أخرج بغير حساب قد يفرغ ما يخرجه وهو لا يشعر فيتهم من يتولى أمره بالأخذ منه، وقد يكون بريئا، وإذا كاله أمن من ذلك.

- أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين مدحهم الله في كتابه.
- وهو التوسط في الإنفاق وأن يجنبنا الإسراف والتبذير (آمين).

* * *

[من مفاتيح الرزق: الدعاء والتذلل لله وحده]

(أحبتى في الله)

إن من أفضل مفاتيح الرزق الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى

فابالدعاء تنكشف الكربات وتكثر الخيرات والبركات.

* * *

من أقوال السلف في الدعاء

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه - ذكره في اقتضاء الصراط المستقيم (٧٠٦/٢).

وعنه - رضي الله عنه - قال: بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح - جامع العلوم والحكم (٢٧٦/١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: إن الله لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء، إن الله - تعالى - لا يقبل من مسمِّع، ولا مراء، ولا لاعب، ولا لاه، إلا من دعا ثبتَ القلب - شعب الإيمان (٥٠/٢ - ٥١).

وعن أبي الدرداء قال: ادع الله في يوم سرائك، لعله يستجيب لك في يوم ضرائك - أخرجه أحمد في الزهد (ص١٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٢٥/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢/٢).

وعن الحسن أن أبا الدرداء كان يقول: جِدوا بالدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢/٢).

وعن حذيفة قال: ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريِق - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠/٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: دعوة المسلم مستجابة ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم أو يقول: قد دعوت فلم أجب - أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٣/٧).

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: يكفي من الدعاء مع البر، كما يكفي الطعام من الملح - أخرجه ابن أبي شيبة (٤٠/٧).

وعن محمد بن واسع قال: يكفي من الدعاء مع الورع اليسير، كما

يكفي القدر من الملح - شعب الإيمان (٢/٥٣ - ٥٤).

وعن طاووس قال: يكفي الصدق من الدعاء، كما يكفي الطعام من الملح - شعب الإيمان (٢/٥٤).

وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طاووس يعودني فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه - صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٢٨٩).

وعن أبي بكر الشبلي في قوله - تعالى -:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [غافر: ٦٠]، قال: ادعوني بلا غفلة، أستجب لكم بلا مهلة - شعب الإيمان (٢/٥٤).

وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول: إلهي أسألك تذللا، فأعطني تفضلا.

ويقول: كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمتنع بالذنب من العطاء.

ويقول: لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت، وقد سددت طرقها بالذنوب - شعب الإيمان (٢/٥٤).

وعن غالب القطان، أن بكر بن عبد الله المزني عاد مريضا، فقال المريض لبكر: ادع الله - عز وجل - لي، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه - أخرجه الطبراني في الدعاء (١١٣٧).

عن الحسن في قوله - عز وجل -:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [غافر: ٦٠]، قال: اعملوا وأبشروا، فإنه حق على الله - عز وجل - أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٩٤)، والطبراني في الدعاء (٩).

وعنه قال: كانوا يجتهدون في الدعاء ولا تسمع إلا همسا - أخرجه ابن أبي شيبة (٧/١٠٩).

وعن حبيب أبي محمد قال: الترياق المجرب الدعاء - مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا (ص١٢١).

وعن داود بن شابور قال: قال رجل لطاووس: ادع لنا، فقال: ما أجد لقلبي خشية فأدعو لك - أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٢/٧).

وعن سعيد بن المسيب قال: إن الرجل ليُرفع بدعاء ولده من بعده - أخرجه ابن أبي شيبة (١١٩/٧).

وعن إبراهيم التيمي قال: كان يقال: إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد وجب، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على رجاء - أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/٧).

وعن النخعي قال: كان يقال: إذا دعوت فابدأ بنفسك، فإنك لا تدري في أي دعاء يستجاب لك - أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣/٧).

وعن وهب بن منبه قال: مثل الذي يدعو بغير عمل، مثل الذي يرمي بغير وتر - أخرجه ابن أبي شيبة (٣٩/٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣/٢).

وعنه قال: من سره أن يستجيب الله دعوته فليطب طعمته - جامع العلوم والحكم (٢٧٥/١).

وعن محمد بن حامد قال: قلت لأبي بكر الوراق: علمني شيئا يقربني إلى الله - تعالى - ويقربني من الناس، فقال: أما الذي يقربك إلى الله فمسألته، وأما الذي يقربك من الناس فترك مسألتهم - طبقات الصوفية للسلمي (ص٢٢٤)، شعب الإيمان (٣٥/٢).

وعن الأوزاعي قال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله - عز وجل - والتضرع إليه - شعب الإيمان (٣٨/٢).

وعن مُورِّقٍ العجلي قال: ما وجدت للمؤمن مثلا إلا كمثل رجل في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب، يا رب، لعل الله - عز وجل - أن ينجيه - الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦١/٧)، شعب الإيمان (٣٩/٢).

وعن هلال بن يساف قال: بلغني أن العبد المسلم إذا دعا ربه فلم يستجب له كتبت له حسنة - شعب الإيمان (٤٩/٢).

وعن السري السقطي قال: كن مثل الصبي، إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه، فقعد يبكي عليها، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربك فلم يعطكه، فاقعد فابك عليه - شعب الإيمان (٥٣/٢).

وعن ابن عيينة قال: لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم، فقد استجاب الله لإبليس وهو شر الخلق، قال: {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾} [الأعراف: ١٤ - ١٥]، - شعب الإيمان (٥٣/٢).

وقال بعض العباد: إنه لتكون لي حاجة إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح علي من مناجاته ومعرفته والتذلل له والتملق بين يديه، ما أحب معه أن يؤخر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال - مدارج السالكين (٢٢٩/٢).

وقال بعض العارفين: ادع بلسان الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق - الإحياء (٥٥٤/١).

* * *

أهمية الدعاء وإجابة الله للداعي

قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦]، والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً.

وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤاله من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك.

وفي سنن ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه».

وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال: الله يغضب إن تركت سؤاله

وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضبُ

قال ابن عقيل: قد ندب الله تعال إلى الدعاء، وفي ذلك معان: أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

فذكر أن الله تعالى يجيب من دعاه، ويعطي من سأله، وأنه سبحانه يفرح بدعاء الداعين، وأنه يستجيب دعوتهم.

الله يغضب إن تركت سؤاله

وتقدم الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ: (من لم يسأل الله يغضب عليه)، ونحن نحب رضاه، ورضاه يتوقف على أن نسأله ونستعينه عند العجز، ونستنصر به عند الخوف، نطلب منه أن يؤمننا وأن يغنينا، وأن يعزنا، وأن يغفر لنا، ونطلب منه كل حاجاتنا، ونرغب عمن سواه من ذكر وأنثى، من صغير وكبير، ونجعل رغبتنا إليه سبحانه.

وتقدم ذلك البيت الذي نظم به ذلك الحديث، وقبله يقول الشاعر: لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب يقول بعضهم: لو أنك مشيت مع إنسان، وأخذت كل ساعة تقول له: أعطني حفنة تراب أعطني حفنة تراب، أليس يضجر منك ويمل ويقول: أتعبتني؟! لا شك أنه يكلفه، مع أن التراب موجود، ولكن قد يتكلف أن ينحني ويأخذ التراب، ثم يناولك وأنت - مثلاً - راكب أو نحو ذلك، لو سئلوا تراباً لملوا، فكيف إذا سئلوا شيئاً يملكونه، أو لهم فيه سبب من الأسباب، ولأجل ذلك على الإنسان أن يعلق

رجاءه بربه، ويطلب منه حاجاته كلها، ولا يسأل غيره، يقول بعضهم: لا تجلسن بباب من يأبى عليك دخول داره وتقول حاجاتي إليه يعوقها إن لم أداره واتركه واقصد ربها تقضى ورب الدار كاره فإذا قصدت الرب سبحانه وتعالى، وأنت صادق مخلص، قضى حاجتك، سواء كانت متعلقة بإنسان، أو متعلقة فيما بينك وبين الرب.

ذكروا أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله اشتكى إليه بعض أصحابه جوعاً نزل به؛ لأنهم لا يكتسبون، عند ذلك نظم أبياتاً يقول في أولها: أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا حاسر أنا عاري هي ستة وأنا الضمين بنصفها فكن الضمين بنصفها يا باري لم يتعلق إلا بربه، فكتب هذه الأبيات، ولما اطلع عليها بعض الذين من الله عليهم، أعطاهم ما يسد حاجتهم، فالرب هو الذي يسر لهم هذا الرزق بواسطة هذا الإنسان، ولم يسألوا أي إنسان، وإنما علقوا قلوبهم بربهم.

إذاً فنقول: على الإنسان أن يجتهد في دعائه لله سبحانه وتعالى، وأن يسأل ربه كل حاجاته، خاصة أن يوسع الله عليك في رزقك وأن تسأل الله في كل شيء ولا تترك حاجة تظن أنك ستحتاج إليها في يوم من الأيام إلا وتسأل ربك أن يقضيها لك سبحانه.

يقول بعض العلماء: سل الله كل شيء حتى ملح طعامك.

وذلك لأنك بحاجة إلى أن يمدك ربك بكل شيء، فأنت مأمور أن تفعل السبب، ومع ذلك تعرف أن الله تعالى هو الذي ييسر لك هذه الأشياء ويجعلها مفيدة ومؤثرة.

* * *

[أهمية الدعاء في طلب الرزق]

- أحبتي في الله -

إن أهمية الدعاء كثيرة، منها قول الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة)، وقرأ هذه الآية، فجعل الدعاء عبادة، ومثل ذلك أيضاً قول الله تعالى: {ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾} [الأعراف: ٥٥ - ٥٦].

* * *

من شروط وآداب الدعاء وأسباب الإجابة

- الإخلاص لله تعالى.
- أن يبدأ لحمد الله والثناء عليه، ثم بالصلاة على النبي ﷺ ويختم بذلك.
- الجزم في الدعاء واليقين بالإجابة.
- الإلحاح في الدعاء وعدم الاستعجال.
- حضور القلب في الدعاء.
- الدعاء في الرخاء والشدة.
- لا يسأل إلا الله وحده.
- عدم الدعاء على الأهل، والمال، والولد، والنفس.
- خفض الصوت بالدعاء بين المخافتة والجهر.
- الاعتراف بالذنب، والاستغفار منه، والاعتراف بالنعمة، وشكر الله عليها.
- تحري أوقات الإجابة والمبادرة لاغتنام الأحوال والأوضاع والأماكن التي هي من مظان إجابة الدعاء.
- عدم تكلف السجع في الدعاء.
- التضرع والخشوع والرغبة والرهبة.
- كثرة الأعمال الصالحة، فإنها سبب عظيم في إجابة الدعاء.
- رد المظالم مع التوبة.

obeikandl.com

- الدعاء ثلاثاً.
- استقبال القبلة.
- رفع الأيدي في الدعاء.
- الوضوء قبل الدعاء إذا تيسر.
- أن لا يعتدي في الدعاء.
- أن يبدأ الداعي بنفسه إذا دعا لغيره.
- أن يتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلي، أو بعمل صالح قام به الداعي نفسه، أو بدعاء رجل صالح له.
- التقرب إلى الله بكثرة النوافل بعد الفرائض، وهذا من أعظم أسباب إجابة الدعاء.
- أن يكون المطعم والمشرب والملبس من حلال.
- لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.
- أن يدعو لإخوانه المؤمنين، ويحسن به أن يخص الوالدان والعلماء والصالحون والعباد بالدعاء، وأن يخص بالدعاء من في صلاحهم صلاح للمسلمين كأولياء الأمور وغيرهم، ويدعو للمستضعفين والمظلومين من المسلمين.
- أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة.
- أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
- الابتعاد عن جميع المعاصي.

* * *

أوقات وأحوال وأماكن وأوضاع يستحب فيها الدعاء

- ليلة القدر.
- جوف الليل الآخر ووقت السحر.
- دبر الصلوات المكتوبات (الفرائض الخمس).
- بين الأذان والإقامة.

- ساعة من كل ليلة.
- عند النداء للصلوات المكتوبات.
- عند نزول الغيث.
- عند زحف الصفوف في سبيل الله.
- ساعة من يوم الجمعة، وهي على الأرجح آخر ساعة من ساعات العصر قبل الغروب.
- عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة.
- في السجود في الصلاة.
- عند قراءة الفاتحة واستحضار ما يقال فيها.
- عند رفع الرأس من الركوع وقول: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.
- عند التأمين في الصلاة.
- عند صياح الديكة.
- الدعاء بعد زوال الشمس قبل الظهر.
- دعاء الغازي في سبيل الله.
- دعاء الحاج.
- دعاء المعتمر.
- الدعاء عند المريض.
- عند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء المأثور في ذلك وهو قوله " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شئ قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي - أو دعا - استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته "
- إذا نام على طهارة ثم استيقظ من الليل ودعا.
- عند الدعاء بـ " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ".
- دعاء الناس عقب وفاة الميت.

- الدعاء بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير.
- عند دعاء الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.
- دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.
- دعاء يوم عرفة في عرفة.
- الدعاء في شهر رمضان.
- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر.
- عند الدعاء في المصيبة بـ: " إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ".
- الدعاء حالة إقبال القلب على الله واشتداد الإخلاص.
- دعاء المظلوم على من ظلمه.
- دعاء الوالد لولده.
- دعاء الوالد على ولده.
- دعاء المسافر.
- دعاء الصائم عند فطره.
- دعاء المضطر.
- دعاء الإمام العادل.
- دعاء الولد البار بوالديه.
- الدعاء عقب الوضوء إذا دعا بالمأثور في ذلك. وهو " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " فمن قال ذلك فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء.
- الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى.
- الدعاء بعد رمي الجمرة الوسطى.
- الدعاء داخل الكعبة، ومن صلى داخل الحجر فهو من البيت.

- الدعاء في الطواف.
- الدعاء على الصفا.
- الدعاء على المروة.
- الدعاء بين الصفا والمروة.
- الدعاء في الوتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان.
- الدعاء في العشر الأول من ذي الحجة.
- الدعاء عند المشعر الحرام.
- والمؤمن يدعو ربه أينما كان وفي أي ساعة، ولكن هذه الأوقات والأحوال والأماكن تخص بمزيد عناية، فإنها مواطن يستجاب فيها الدعاء بإذن الله تعالى.

* * *

obeikandl.com

أخطاء تقع في الدعاء

- أن يشتمل الدعاء على شئ من التوسلات الشركية أو البدعية.
- تمني الموت وسؤال الله ذلك.
- الدعاء بتعجل العقوبة.
- الدعاء بما هو مستحيل أو بما هو ممتنع عقلاً أو عادة أو شرعاً.
- الدعاء بأمر قد تم وحصل بالفعل وفُرغ منه.
- أن يدعوا بشيء دلّ الشرع على عدم وقوعه.
- الدعاء على الأهل والأموال والنفس.
- الدعاء بالإثم كأن يدعو على شخص أن يبتلى بشيء من المعاصي.
- الدعاء بقطيعة رحم.
- الدعاء بانتشار المعاصي.
- تحجير الرحمة، كأن يقول: اللهم اشفني وحدي فقط وارزقني وحدي فقط.
- أن يخص الإمام نفسه بالدعاء دون المأمومين إذا كانوا يؤمنون وراءه.
- ترك الأدب في الدعاء كأن يقول: يا رب الكلاب ويا رب القردة والخنازير.
- الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله عز وجل، كأن يقول: سأجرب وأدعو لأرى أيستجاب لي أم لا، وقول بعضهم: سأدعو الله فإن نفع وإلا لم يضر.
- أن يكون غرض الدعاء فاسداً.
- أن يعتمد العبد على غيره في الدعاء دائماً، ولا يحرص على الدعاء بنفسه.
- كثرة اللحن أثناء الدعاء، وخاصة إذا كان اللحن يحيل المعنى، أما

الجاهل بالمعنى وليس له معرفة باللغة فهو معذور.

- عدم الاهتمام باختيار أسماء الله أو صفات الله المناسبة للدعاء.
- اليأس وقلة اليقين من إجابة الدعاء.
- التفضيل في الدعاء تفضيلاً لا لزوم له، كأن يقول: " اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وخالاتنا... " وهكذا ويستمر في ذكر تفصيل الأقارب والجيران وغيرهم. أما إذا كان التفصيل معقولاً ومحدوداً فلا بأس بذلك.
- دعاء الله بأسماء لم ترد في الكتاب والسنة.
- المبالغة في رفع الصوت.
- قول بعضهم عند الدعاء: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه.
- تعليق الدعاء على المشيئة كأن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت والواجب الجزم في الدعاء.
- تصنع البكاء ورفع الصوت بذلك.
- ترك الإمام رفع يديه إذا استسقى في خطبة الجمعة.
- الإطالة بالدعاء حال القنوت، والدعاء بما لا يناسب المقصود فيه.

* * *

أقسام الدعاء

والدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، وكل منهما ملازم للآخر، فالمصلي في صلاته يدعو ربه في كثير من أركان الصلاة وهيئاتها، ففي الفاتحة يقول: { ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ } [الفاتحة: ٦]، وهذا دعاء، وفي الركوع والسجود يقول: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، وهذا دعاء، وبين السجدتين يقول: رب اغفر لي، ويكرر ذلك، وهذا دعاء.

وكذلك في السجود مأمور بأن يكثر من الدعاء، وكذلك في آخر التشهد مأمور بأن يدعو، فالصلاة فيها دعاء، وكذلك الحج فيه الدعاء في

الطواف، وفي السعي، وفي الوقوف بعد الرمي، وما أشبه ذلك، وهذا دليل على أن الله يحب من عباده أن يكثروا من دعائه، وأن لا يملوا من هذا الدعاء، وأنه سبحانه لا بد وأن يجيبهم إذا تمت الشروط.

وتقدم كلام ابن عقيل على هذه الأدلة التي فيها الأمر بالدعاء، فإنه استدل بها على أن الله تعالى موجود، فإن المعدوم لا يدعى، وأنه سبحانه قادر، فإن العاجز لا يمكن أن يطلب منه شيء، وأنه غني، ولو كان فقيراً لم يطلب منه شيء، فكيف يطلب من الفقير شيء وهو لا يجد! واستدل به على أنه كريم؛ وذلك لأن الكريم هو الذي يجود، وهو الذي يهب مما عنده، فالله تعالى هو الكريم، بل هو الذي لا ينقص ما عنده كما يقول النبي ﷺ: «يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه»، ويقول في الحديث القدسي: «يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»، والآيات والأحاديث والأدلة على هذا كثيرة.

* * *

الواقع يشهد بفائدة الدعاء

والواقع يشهد بفائدة الدعاء، فالنبي ﷺ لما سئل مرة وهو على المنبر أن يدعو الله تعالى بالغيث، رفع يديه وقال: «اللهم أغثنا» مرتين أو ثلاثاً فاستجاب الله دعاءه فنزل المطر في ذلك اليوم، واستمر نزوله أسبوعاً، وفي الجمعة الثانية دعا بقوله: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فانفرجت السماء وصارت كالإكليل استجابة لدعوته، فدل على أنه يؤثر بالدعاء، سيما إذا كان مستجاب الدعوة وهو الذي تتم فيه الصفات التي يكون بها أهلاً لأن تجاب دعوته، فيأتي بشروط إجابة الدعوة، فإن للدعاء شروطاً مذكورة في الكتب المطولة، وقد جمع العلماء ما وصلهم أو ما صح عندهم من الأدعية، ففي صحيح البخاري كتاب اسمه: كتاب الدعوات أورد فيه كثيراً من الأدعية المرفوعة، سواءً كانت تتعلق بأمور الدنيا أو بأمور الآخرة،

مثل: سؤال الجنة والنجاة من النار، وسؤال الخير ومحو الشر وأشباه ذلك، والتحفظ مثل: الاستعاذة من الشرور ونحوها.

كذلك في صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء جمع فيه أدعية كثيرة، وأفردت الأدعية أيضاً بكتب من أوسعها كتاب الدعاء للبيهقي مطبوع في ثلاثة مجلدات، وإن كانت فيه مقدمة طويلة وفهارس، لكن فيه أدعية كثيرة، واهتم بذلك العلماء متقدمهم ومتأخرهم، وكل أفرد ما يسر الله أن يطلع عليه وما عَنّ له من الأدعية، ولا شك أن ذلك دليل على إجابة الدعاء.

* * *

بعض الأدعية المختارة

من دعاء النبي ﷺ :

١ - قال رسول الله ﷺ : «اللهم اجعلْ في قلبي نُوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً، وأعظِمْ لي نوراً» صحيح بخاري ومسلم والنسائي وأحمد عن ابن عباس.

٢ - قال رسول الله ﷺ : «اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشمِتْ بي عَدواً ولا حاسداً، اللهمَّ إني أسألُكَ من كلِّ خير خزائِنهُ بيدك، وأعوذُ بك من كلِّ شرٍّ خزائنه بيدكَ» حسن الحاكم.

٣ - قال رسول الله ﷺ : «اللهمَّ أحييني مِسكيناً وأمتني مِسكيناً واحشرني في زمرةِ المساكين» صحيح ابن ماجه وعبد بن حميد.

... ومعنى مسكيناً: أي خاشعاً متواضعاً.

٤ - قال رسول الله ﷺ : «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلحْ لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخِرتي التي فيها معادي، واجعلِ الحياة زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعل الموت راحةً لي منْ كلِّ شر» صحيح مسلم

عن أبي هريرة.

٥ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمْدي وهزلي وجدِّي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المقدمُ وأنت المؤخِّرُ، وأنت على كلِّ شئ قديرٌ» صحيح بخاري ومسلم.

٦ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفرْ لي ذنبي، ووسعْ لي في داري، وبارك لي في رزقي» حسن ترمذي وأحمد طبراني.

٧ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم أنعِشني واجبُرني، واهدني لصالح الأعمال، والأخلاقِ فإنهُ لا يهدي لصالحها ولا يصرفُ سيئها إلا أنت» حسن طَبراني والحاكم.

٨ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ أمتعني بسمْعي وبصري حتى تجعلهُما الوارث مني، وعافني في ديني وفي جسدي، وانصرني ممَّن ظلمني حتى تُريني فيهِ ثأري» صحيح الحاكم والطبراني.

٩ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم اقسم لنا منْ خشيتكَ ما يحولُ بيننا وبين معاصيكَ، ومن طاعتك وما تُبلغُنا به جنتكَ، ومن اليقينِ ما يهون علينا مصيباتِ الدُنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجْعل ثأرنا على من ظلمنا وانصُرنا على منْ عادانا، ولا تجعلْ مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ عِلمِنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» حسن ترمذي والحاكم عن ابن عمر.

١٠ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أسالكَ الهُدى والتُّقى، والعفافَ والغنى» صحيح مسلم وترمذي وابن ماجه.

١١ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجِلهِ ما علمتُ منهُ وما لمْ أعلمْ اللهم إني أسألكَ من خير ما سألك به عبدُكَ ونبيكَ، وأعوذُ بك منْ شر ما عاذ به عبدُكَ ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذُ بك من النارِ وما قربَ إليها من قولٍ أو عملٍ وأسألك أن تجعل كل قضاءٍ قضيتهُ لي خيراً» صحيح ابن ماجه وأحمد والحاكم.

١٢ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ برضاكَ من سخطك،

وبمعافاتِك من عقوبتك، وأعوذُ بك منكَ لا أحصي ثناءً عليكَ أنت كما أثنيت على نفسك» صحيح مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي.

١٣ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ من العجزِ والكسلِ، والجُبنِ والبُخلِ والهرمِ، والقسوةِ، والغفلةِ والعيلةِ والذِّلةِ، والمسكنةِ وأعوذُ بكَ من الفقرِ والكفرِ والفسوقِ والشقاقِ والنفاقِ والسُّمعة والرياء، وأعوذُ بك من الصممِ والبكمِ، والجُنونِ والجزامِ، والبرصِ وسيئِ الأسقام» صحيح الحاكم والبيهقي.

١٤ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ، والجُبنِ والبُخل والهرمِ، وعذابِ القبرِ، وفتنة الدجالِ اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خيرُ من زَكاها، أنتَ وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومنْ نفسٍ لا تشبعُ، ومنْ دعوةٍ لا يستجابُ لها» صحيح مسلم والنسائي وأحمد، واللفظ لأحمد.

١٥ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من الفقرِ والقلةِ والذِّلةِ، وأعوذُ بكَ منْ أن أظلمَ أو أُظلمَ» صحيح النسائي وأبو داود، وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة.

١٦ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحزنِ والعجزِ والكسلِ، والبخلِ والجبنِ وضلعِ الدَّين، وغلبةِ الرجالِ» صحيح بخاري ومسلم والنسائي، وأبو داود والترمذي وأحمد.

١٧ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ زوالِ نِعمتكَ، وتحولِ عافيتكَ وفُجأةِ نقمتكَ، وجميعِ سخطك» صحيح ومسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عمر.

١٨ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من شرِّ سمعي، ومن شرِّ بصري، ومن شرِّ لساني، ومنْ شرِّ قلبي، ومن شرِّ منيتي» صحيح أبو داود والحاكم عن شكل.

١٩ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ شرِّ ما عملتُ، ومنْ شرِّ ما لم أعملْ» صحيح مسلم والنسائي وأبو داود عن عائشة.

٢٠ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذابِ القبر، وأعوذُ

بكَ منْ عذابِ النارِ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا والمماتِ، وأعوذُ بكَ منْ فتنةِ المسيح الدجالِ» صحيح بخاري والنسائي عن أبي هريرة.

٢١ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ من علمٍ لا ينفعُ، وعملٍ لا يُرفعُ، ودعاءٍ لا يُسمعُ» صحيح أحمد وابن حبان والحاكم عن أنس.

٢٢ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ قلبٍ لا يخشعُ، ومن دعاءٍ لا يُسمعُ، ومنْ نفسٍ لا تشبعُ، ومنْ علمٍ لا ينفعُ. أعوذُ بكَ منْ هؤلاءِ الأربع» صحيح النسائيِّ والترمذي عن ابنٍ عمرو، ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة.

٢٣ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ منْ مُنكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواءِ والأدواءِ» صحيح ترمذي والحاكم والطبراني عن عم زياد ابن علاقة.

٢٤ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني إعوذُ بك من يوم السوءِ، ومنْ ليلةِ السوءِ، ومنْ ساعة السوءِ، ومنْ صاحبِ السوءِ، ومنْ جارِ السوءِ في دارِ المُقامة» حسن طبراني عن عقبة بن عامر.

٢٥ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ باركْ لأمتي في بُكورها» صحيح النسائي وأبو داود والترمذي وأبو داود وأحمد.

٢٦ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ بعلمكَ الغيب، وقدرتكَ على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي. اللهم وأسالكَ خشيتك في الغيبِ والشهادةِ، وأسألكَ كلمةَ الإخلاصِ في الرضا والغضبِ، وأسألكَ القصدَ في الفقر والغني، وأسألكَ نعيماً لا ينْفدُ وأسألكَ قرة عينٍ لا تنقطعُ، وأسألكَ الرضا بالقضاءِ، وأسألك برد العيشِ بعد الموتِ، وأسألكَ لذةَ النظرِ إلى وجهكَ، والشوقَ إلى لقائكَ، في غير ضراءَ مضرةٍ، ولا فتنةٍ مضلةٍ. اللهمَّ زيّنا بزينةِ الإيمان، واجعلنا هُداةً مُهتدينَ» صحيح النسائي والحاكم عن عمار بن ياسر.

٢٧ - قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ كما حسنت خلقي فحسّن خُلقي» صحيح أحمد.

٢٨ - قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذُ بكَ منَ التردِّي والهرمِ، والغرقِ

والحرقِ، وأعوذُ بكَ أنْ يتخبطني الشيطانُ عند الموتِ» صحيح النسائي والحاكم عن أبي اليسر. وهذا جزء من حديث.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دُعاء النبي ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذاب النار» صحيح البخاري.

ومعنى الحسنة في الدنيا: - تشمل كل مطلوب دنيوي من عافيه وزوجة حسنة وولد صالح ورزق واسع وعلم نافع، وعمل صالح ومركب هنئ ودار واسعة.

... الحسنة في الآخرة: أعلاها دخول الجنة، والأمن من الفزع الأكبر، وتيسير الحساب ودخول الجنة (آمين).

* * *

[باب الدعاء عند الكرب]
في الأدب المفرد للإمام البخارى

- حدثنا مسلم قال حدثنا هشام قال حدثنا قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم».

قال الشيخ الألباني: صحيح

- حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الملك بن عمرو قال حدثنا عبد الجليل عن جعفر بن ميمون قال حدثني عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت تعيدها ثلاثا حين تمسي وحين تصبح ثلاثا وتقول اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت تعيدها ثلاثا حين تمسي وحين تصبح ثلاثا فقال: نعم يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول بهن وأنا أحب أن أستن بسنته قال: وقال رسول الله ﷺ: «دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت» قال الشيخ الألباني: حسن.

- حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عبد الملك بن الخطاب بن عبيد الله بن أبي بكرة قال حدثني راشد أبو محمد عن عبد الله بن الحارث قال سمعت ابن عباس يقول: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم اللهم اصرف شره» قال الشيخ الألباني: صحيح.

(أحبتي في الله) وإتماما للفائدة أذكر لكم بعض موانع الدعاء حتى نتجنبها وأسأل الله أن يستجيب دعاءنا إنه أرحم الراحمين.

* * *

موانع إجابة الدعاء

- أحبتي في الله -

إذا أتى الداعي بآداب الدعاء، وتحرّى مواطن الإجابة حالاً وزماناً ومكاناً، فعليه التخلّص والابتعاد عما يمنع إجابة الدعاء.

وأما موانع الدعاء فـ:

أولاً: أكلُ الحرام - أجارك الله -

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١} [المؤمنون: ٥١]، وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ} [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك؟» مسلم - كتاب الزكاة (٧٠٣/٢).

فكم جمع هذا المثال من آداب وأحوال يُستجاب معها الدعاء؟

فهو يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ.

يمدّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ.

يَا رَبِّ يَا رَبِّ [تكرار الدعاء]

ومع ذلك بعيدٌ كل البعد أن يستجاب له، أو يُسمع دعاؤه.

والسبب: الحرام فـ:

١ - مَطْعَمُهُ حَرَامٌ.

٢ - وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ.

٣ - وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ.

٤ - وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ.

فكيف يُستجاب لمن جمع تلك البليّات؟!

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعيذ بالله من دعوةٍ لا يُستجابُ لها.

- رواه مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، (٢٠٨٨/٤).

ثانياً: استعجال الإجابة وترك الدعاء

أخبر الله - عز وجل - عن طبيعة الإنسان فقال: {خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: ٣٧].

وقال - جل جلاله -: {وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾} [الإسراء: ١١].

والدّاعي قد تغلبه هذه الطبيعة البشرية فيترك الدعاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدّعَاءَ» رواه مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٦/٤).

وقد جمع هذا الحديث بين مانعين من موانع الدعاء:

الأول: الدعاء بالإثم.

والثاني: الاستعجال.

وأخرج البخاري ومسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال: قال

رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي

- رواه البخاري. كتاب الدعوات. باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (١٥٣/٧) ومسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٠٩٥/٤).

وفي خبر موسى ﷺ أنه دعا ربَّه فقال: {رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ} [يونس: ٨٨].

فكان الجواب من ربّ الأرباب: {قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: ٨٩].

روي عن أبي جعفر محمد بن علي وعن الضحاك أنهما قالا - في قوله تعالى: {قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا} [يونس: ٨٩] -: كان بينهما أربعون سنة. وقال ابن جريج: يُقال إن فرعون ملك بعد هذه الآية أربعين سنة. قال مرزوق العجلي: دعوت ربي في حاجة عشرين سنة فلم يقضها لي، ولم أيأس منها).

- التمهيد لابن عبد البر (٣٠١/١٠).

وانظر - تفسير الجلالين (ص ٢٨٠).

أي أن دعاء موسى ﷺ لم يُستجب إلا بعد أربعين سنة.

ولا بد أن يُعلم أن من وُفّق للدعاء فقد وُفّق لخير كثير، وليست الإجابة الفورية من شرط الدعاء، لأن من دعا فهو أمام أحدِ ثلاثةِ أمور:

١ - إما أن تُجاب دعوته مباشرة.

٢ - وإما أن يُصرف عنه من البلاء مثلما سأل.

٣ - وإما أن تُدّخر له في الآخرة أحوج ما يكون إلى الحسنات.

لحديث أبي سعيدٍ الخدري أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»**. قالوا: إذاً نكثر؟ قال: **«الله أكثر»**.

- حديث صحيح: رواه الإمام أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٦٤ صحيح الأدب) وعبد بن حميد (٢٩٢) وابن أبي شيبة (٢٢/٦) والحاكم (٦٧٠/١) وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١١/٦).

وكان عمرُ - رضي الله عنه - يقول: إنّي لا أحمل همَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء، فإذا أُلهمتُ الدعاء فإن الإجابة معه.

قال ابن الجوزي - رحمه الله -:

إذا وقعتَ في محنة يصعب الخلاص منها، فليس لك إلا الدعاء واللجأ إلى الله بعد أن تُقدّم التوبة من الذنوب، فإن الزلل يُوجب العقوبة، فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب، فإذا تُبتَ ودعوتَ، ولم ترَ للإجابة أثراً فتفقّد أمرك، فربما كانت التوبة ما صحّت فصححها، ثم ادعُ، ولا تملَّ من الدعاء، فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة، فأنت تُثاب وتُجاب إلى منافعك، ومن منافعك أن لا تُعطى ما طلبت بل تُعوّض غيره، فإذا جاء إبليس فقال: كم تدعوه ولا ترى إجابة، فقل: أنا أتعبّد بالدعاء، وأنا موقن أن الجواب حاصل، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح فهو يجيء في وقت مناسب، ولو لم يحصل حصل التعبد والتذلل.

- انظر - صيد الخاطر (ص ٣٠٥).

وقال - رحمه الله -: من العَجَب إلحاحك في طلب أغراضك، وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك، وتنسى أنها قد تُمنع لأحد أمرين:

إما لمصلحتك، فربما مُعجَّلٌ أذى.

وإما لذنوبك، فإن صاحب الذّنوب بعيد من الإجابة.

فَنَظِّف طُرق الإجابة من أوساخ المعاصي، وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك، أو لمجرّد هواك؟ فإن كان للهوى المجرّد، فاعلم أن من اللطف بك، والرحمة لك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيُمنع رفقاً به، وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره، أو كان صلاح الدين بِعَدَمِه. وفي الجملة فتدبير الحق - عز وجل

- لك خيرٌ من تدبيرك، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليبلوا صبرك، فَأَرِهِ الصبر الجميل ترى عن قربٍ ما يَسُرّ.

وقال ابن رجب: فإن المؤمن إذا استبطأ الفَرَج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر عليه أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأُجِبتِ، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس أهلا لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء، وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله. قال وهب: تعبد رجل زمانا ثم بَدَتْ له إلى الله حاجة، فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يُعطها، فرجع إلى نفسه، فقال: منك أتيت، لو كان فيك خيراً أُعطيت حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملك، فقال له: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك. خرجه ابن أبي الدنيا، جامع العلوم والحكم (٤٨٠/١).

ثالثاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر صمام أمان للفرد والجماعة، ومِن ذلك أن تركه سبب لعدم إجابة الدعاء.

فعن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ - رضي الله عنهما - عن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنّ عَنِ المُنْكَرِ، أو لَيُوشِكَنّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ثُمَ تَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ».

- حديث حسن: رواه أحمد (٣٨٨/٥) والترمذي (٤٦٨/٤) وقال: حديث حسن، وابن أبي شيبة (٤٦٠/٧).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم».

- حديث حسن: رواه أحمد (١٥٩/٦)

وابن ماجه (٣٥٩/٤) وابن حبان (٥٢٦/١).

. وينبغي أن يُعلم إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُسوّغ ترك الدعاء.

كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بترك الإنكار بمراتبه الثلاث؛ الإنكار باليد واللسان والقلب.

ومَن أنكر بالقلب فإنه لم يترك الإنكار.

ومَن ترك الدعاء بترك الإنكار فقد جمع إلى الخطأ خطأ آخر، وإلى الذنب ذنباً آخر.

رابعاً: ارتكاب الذنوب والمعاصي

الذّنوب تسدّ طُرق الإجابة، وتُبعد عن علاّم الغيوب.

قال سبحانه موبِّخاً الكفار:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾}
[غافر: ٤٩ - ٥٠].

إن المعاصي والذنوب مما يُقسّي القلوب، وإن أبعدَ شيءٍ من الله القلب القاسي.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي.

- حديث حسن: رواه الترمذي (٦٠٧/٤)

والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥/٤)

ولذلك بوّب البخاري - رحمه الله - في أوائل كتاب الدعوات من الصحيح باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، باب التوبة...

قال الحافظ ابن حجر: أشار المصنف بإيراد هذين البابين - وهما الاستغفار ثم التوبة - في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تُسرع إلى من لم يكن متلبساً بالمعصية، فإذا قدّم التوبة والاستغفار قَبْلَ الدعاء كان أمكن لإجابته - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠٤/١١ - ١٠٦).

قال يحيى بن معاذ الرازي: لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت، وقد سَدَدْتَ طرقها بالذنوب.

رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٤/٢).

قال ابن القيم: يا مُستَفْتِحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى، كيف توسع طريقَ الخطايا وتشكو ضيقَ الرزق، ولو وَقَفْتَ عند مرادِ التقوى لم يَفُتْكَ مُراد.

- الفوائد (ص ٧٧). ومعنى (إقليد) أي مفتاح.

خامساً: الاعتداء في الدعاء

وقد تقدّم معنا أن الاعتداء في الدعاء نوع عبثٍ لا يليق بالقُربات، وقد ينصرف القلب عن الدعاء واستحضار المطلوب إلى تلك الاعتداءات التي تضر ولا تنفع.

فمن أراد إجابة دعائه فليجتنب الاعتداء في الدعاء.

سادساً: غفلةُ القلب.

سبق إيراد قوله ﷺ: «إن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ».

قال ابن القيم - بعد كلام عن الرُّقية ونفعها -: وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيّتِه عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرَّخْوِ جداً، فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا، وإما لحصول المانع من الإجابة؛ من أكل الحرام، والظلم، ورَيْنِ الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغَلَبَتِها عليها.

- الجواب الكافي (الداء والدواء) ص (٩).

سابعاً: ثلاثة أصناف لا يُستجاب لهم

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ثلاثة يَدْعُون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه،

ورجل آتى سفيها ماله، وقد قال الله - عز وجل -:{وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ} [النساء: ٥] »، رواه الحاكم (٣٣١/٢).

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وأورده الألباني في السلسة الصحيحة برقم (١٨٠٥).

وعدم استجابة دعاء هؤلاء إنما هو في خصومهم المذكورين في الحديث.

قال المُناوي: رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلق فلم يطلقها، فإذا دعا عليها لا يستجيب له؛ لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها، وهو في سعة من فراقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه فأنكره، فإذا دعا لا يُستجاب له؛ لأنه المفرط المقصِّر بعدم امتثال قوله تعالى:{ ٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ } [البقرة: ٢٨٢].

ورجل آتى سفيهاً - أي محجوراً عليه بِسَفَهٍ - ماله، أي شيئا من ماله، مع علمه بالحجر عليه، فإذا دعا عليه لا يستجاب له؛ لأنه المضيع لِمالِه فلا عُذر له.

- فيض القدير (٣٣٦/٣)

- أسأل الله أن يستجيب دعاءنا وأن يوسع أرزاقنا وأن يبارك لنا فية إنه أرحم الراحمين جواد كريم.

* * *

[من مفاتيح الرزق] اتباع السُنة

- أحبتى في الله -

إن الأخذ أو العمل بكل سبب من الأسباب الجالبة للرزق والبركة السابقة الذكر فيه اتباع للسنة بلا شك، والمراد ذكره هنا هو: أن اتباع السنة في كل الأمور الواجبة منها والمستحبة اقتداء بالرسول ﷺ محبةً له واتباعًا لكل ما جاء عنه، وذلك طلبًا لحصول بركة هذا الاتباع في الدنيا والآخرة فإن هذا بحد ذاته يعد سببًا من أسباب استجلاب الخير والبركة في الدنيا والآخرة ويمكن إلحاقه

بالأسباب الجالبة للبركة استقلالاً.

على أنه ﷺ قد أرشد وألفت الأنظار إلى بعض الأعمال والممارسات التي تكون مظنة البركة في المال لا على سبيل الإلزام ولكن على سبيل الاستحباب والندب.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: «البركة في نواصي الخيل».

وفي حديث آخر: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»، كلاهما عند البخاري [١] ومسلم [٢]. وقال أيضًا: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» عند كل من البخاري [٣]، وأحمد [٤] وآخرين. وقال العراقي: " إسناد أحمد صحيح " [٥].

ومن هذا يظهر أن اقتناء الخيل، وارتباطها وتعلم ركوبها، وكذا تعلم الرماية وأدوات الحرب وإتقانها بنية الإعداد، والتهيؤ للجهاد في سبيل الله يكون فيه مغنم وبركة وخير في الدنيا والآخرة، وأن المال الحاصل بسبب الجهاد والإعداد له هو أفضل الرزق وأبركه [٦].

وقد قال رسول الله ﷺ لأم هانئ: «اتخذي غنمًا فإن فيها بركة»، كما جاء عند ابن ماجه [٧]. قال البوصيري: " إسناده صحيح ورجاله ثقات " [٨].

كما روى ابن ماجه [٩] حديث عروة البارقي مرفوعًا وفيه لفظ: «الإبل عز لأهلها والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة».

---

(١) الصحيح، كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (٥٤/٦).
(٢) الصحيح، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (١٤٩٢/٣ - ١٤٩٤).
(٣) الصحيح، كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح (٩٨/٦).
(٤) المسند (٥٠/٢، ٩٢).
(٥) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (١٥٩٣).
(٦) فتح الباري (٩٨/٦ - ٩٩) بتصرف.
(٧) السنن، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية (٧٧٣/٢).
(٨) مصباح الزجاج (٢٠٦/٢).
(٩) السنن، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية (٧٧٣/٢).

وقال البوصيري: " إسناده صحيح على شرط الشيخين وبعضه في الصحيحين، وإنما انفرد ابن ماجه بذكر الإبل والغنم " [1].

كما جاء عند البخاري [2]، أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**».

كما أرشد ﷺ الآكل إلى لعق أصابعه والصحفة قائلاً: " إنكم لا تدرون في أيه البركة " [3]. كما أرشد إلى الأكل من أسفل أو حوالي الصحفة لا من أعلاها أو ذروتها فقال: «**إن البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه**» عند أبي داود [4]، والترمذي [5]، وعند أبي داود لفظ: «**كلوا من حواليها ودعوا ذروتها يُبَارِكْ فيها**». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: والمراد هنا البدء بالجوانب أولاً قبل الذروة لا النهي عن الأكل من الذروة أو الوسط مطلقا، وقد ورد لعق الأصابع والصحفة آنفا.

كما جاء عنه ﷺ قوله: «**تسحَّروا فإن في السحور بركة**» عند البخاري[6]. قال ابن حجر: " إن البركة في السحور تحصل بجهات متعددة وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب.. " [7] وذكر أن ابن دقيق العيد أشار إلى أن البركة تعود إلى أمور دينية، وأمور دنيوية.

ومما يؤيد أيضا أن اتباع الشرع فيما جاء عنه ﷺ يحصل به البركة أن الحافظ ابن حجر قال عند الكلام على حديث كيل الطعام المتقدم في السبب التاسع قال: " فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع، وإذا لم يمتثل الأمر فيه بالاكتيال نزعت منه لشؤم العصيان " [1].

---

(١) مصباح الزجاجة (٢٠٦/٢).
(٢) الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم (٣٥٠/٦).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع (١٦٠٦/٣).
(٤) السنن، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة (٣٤٨/٣ - ٣٤٩).
(٥) الجامع، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام (٥٢٤/٥).
(٦) الصحيح، كتاب الصوم، باب بركة السحور (١٣٩/٤).
(٧) فتح الباري (١٤٠/٤).
(١) فتح الباري (٣٦٤/٤).

وفى حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه - عندما أخذ بنصيحة النبي ﷺ ، وأنه لم يسأل أحدًا بعده ولم يقبل العطاء ولا نصيبه من أبي بكر ولا من عمر بعده - رضي الله عنهما - بارك الله لحكيم بهذه النية في اتباع السنة النبوية، وعوضه خيرًا فمات وإنه لمن أكثر قريش مالاً، والله أعلم.

تنبيه:

لئن اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون الكلام في أكثره منصبا على الأسباب الجالبة للبركة في الرزق في حياة الإنسان المعيشية الدنيوية، فليس معناه أن هذه البركة لا تنسحب بتلك الأسباب على البركة في حياته الأخروية فتحصل له البركة في الأعمال الصالحة ومضاعفة الأجر فيها بل إن الأجر والثواب الأخروي حاصل بتلك الأسباب أو أكثرها من باب أولى، إذ لا يمكن تصور حصول البركة في الرزق وازدياد المال بتلك الأسباب الجالبة لذلك من غير حصول البركة في ثواب تلك الأعمال.

ومن خلال استقراء ما جاء في البحث من نصوص حول البركة في الرزق وأسبابها، يلحظ أن البركة في الأجر ومضاعفة الحسنات داخل في ذلك دخولاً أوليًا، وكثيرًا ما نبه العلماء على هذه البركة. وزيادة على ما مر في هذا الكتاب من ذكر للأجر الأخروي ومضاعفته فهناك نصوص كثيرة ناطقة بذلك صراحة منها قوله تعالى: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾} [البقرة: ٢٦١].

وقد جاء عند كل من البخاري [١]، ومسلم [٢]، والترمذي [٣]، والدارمي [١] وغيرهم، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - واللفظ للبخاري والباقون بنحوه أنه ﷺ قال: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب**

(١) الصحيح، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب (٢٧٨/٣). وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) (٤١٥/١٣).
(٢) الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيته (٧٠٣/٢).
(٣) الجامع، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة (٣٢٧/٣).
(١) السنن (٣٣٣/١).

- ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربِّيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوَّه [1]، حتى تكون مثل الجبل». وقد جاء عند مسلم [2]، والنسائي [3] من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» هذا لفظ مسلم، والنسائي بنحوه.

وقال ﷺ: «سبق درهمٌ مائةَ ألف درهم»، قالوا: وكيف؟. قال: «كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما وانطلق رجل إلى عُرْض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها». كما جاء عند النسائي [4] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد حسنه الألباني [5]....

(أحبتى في الله)

وردت أحاديث كثيرة تدل على وجوب اتباع السنة ومصدريتها، كقوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي»، وقوله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله»، وقوله ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعَضوا عليها بالنواجذ».

والأمر الرابع: الإجماع، فقد أجمعت الأمة على وجوب العمل بالسنة، ولهذا فقد قبل المسلمون السنة كما قبلوا القرآن الكريم، وعدوها المصدر الثاني للتشريع؛ استجابة لله عز وجل وتأسيًا برسوله ﷺ.

المنكرون زنادقة مرتدون:

وإذا وقفنا على حكم من أنكر وجوب العمل بالسنة، نجد إجماع العلماء بأنه كافر مرتد، لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة.

يقول الإمام السيوطي في كتابه مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: " فاعلموا - رحمكم الله - أن من أنكر كونَ حديث النبي ﷺ قولاً كان أو

(١) الفلو: المهر الصغير، وقيل: هو الفطيم من أولاد ذوات الحوافر. النهاية (٤٧٤/٣).
(٢) الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها (١٥٠٥/٣).
(٣) السنن، كتاب الجهاد، باب فضل الصدقة في سبيل الله عز وجل (٤٩/٦).
(٤) السنن، كتاب الزكاة، باب جهد المقل (٥٩/٥).
(٥) صحيح سنن النسائي (٥٣٢/٢)، التعليق على ابن خزيمة حديث رقم (٢٤٤٣).

فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجةٌ، كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء من فرق الكفرة " (انتهى).

- وإتماما للفائدة أذكر لكم:

من كتاب مفهوم أهل السنة والجماعة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأهل الإفراط والتفريط.

للشيخ عادل بن محمد بن فرحان البحيري الشميري.

- ذكر الشيخ في كتابة تحت عنوان:

وجوب اتباع السنة.

(السنة مثال سفينة نوح: من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، قال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة). " الفتاوى " (٣٠٦/٢٢).

و (سبب ظهور البدع في كل أمة، هو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، قال مالك رحمه الله: (السنة مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)، وهذا حق، فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله، فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا، والمتخلف عن اتباع الرسالة، بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه). " الفتاوى " (١٣٧/٤).

فالذي نحن مأمورون به هو طاعة الله ورسوله، فعلينا أن نطيع رسول الله ﷺ فيما أمرنا به، فإن الله قد ذكر طاعته في أكثر من ثلاثين موضعًا من كتابه، فقال تعالى: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء: ٨٠]، وقال: { وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ } [النساء: ٦٤]، وقد أوجب السعادة لمن أطاعه بقوله: {فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا } [النساء: ٦٩]،

وعلق السعادة والشقاوة بطاعته ومعصيته في قوله:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾} [النساء: ١٣ - ١٤]، وكان ﷺ يقول في خطبته:«**من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئًا**» (١).

ب) بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخراساني، أبو علي، الإمام الثبت، المجاور بحرم الله. قال ابن كثير: (أحد أئمة العُباد الزهاد، وهو أحد العلماء والأولياء). وله مواعظ وكلمات في الورع والزهد مشهورة حتى قال ابن المبارك: (إن الفضيل بن عياض صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممن نفعه علمه). توفي رحمه الله سنة (١٨٧). انظر سير أعلام النبلاء (٤٢١/٨ - ٤٤٢)، والبداية والنهاية وفيات سنة (١٨٧).

وجميع الرسل دعوا إلى عبادة الله وتقواه وخشيته وإلى طاعتهم، كما قال نوح عليه السلام:{أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾} [نوح: ٣]، وقال تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ} [النور: ٥٢]، وقال كل من نوح والنبيين:{ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾} [الشعراء: ١١٠]، وطاعة الرسول فيما أمرنا به هو الأصل الذي على كل مسلم أن يعتمده، وهو سبب السعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة). " الفتاوى " (٣٢١/٢٢. ٣٢٠).

(فإن الإسلام مبني على أصلين: أن لا نعبد إلا الله وحده، وأن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، لا نعبده بالأهواء والبدع). " الفتاوى " (٩٤/٢٣).

وقد قال تعالى:{لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا} [الملك: ٢]، قال الفضيل بن

(١)من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -، رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس.
ح (١٠٩٧). وقد ضعفه العلامة الألباني في ضعيف أبي داود. ح (٢٣٨)، وفي خطبة الحاجة ص (١٣).

عياض رضي الله عنه: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي! ما أخلصه؟ وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. وهذا الذي قاله الفضيل متفق عليه بين المسلمين، فإنه لابد له في العمل أن يكون مشروعًا مأمورًا به، وهو العمل الصالح، ولابد أن يقصد به وجه الله، كما قال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا)، ومنه قوله تعالى:{ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾} [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى:{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾} [النساء: ١٢٥].

(قلت) ومن هذا العنصر في بركة الرزق وزيادته - كما بينا - أن التمسك بسنة النبى ﷺ هو الخير كل الخير ويكفينا قول الله تبارك وتعالى:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء: ٨٠].

- وهذا العنصر - من مفاتيح الرزق - التي لايستغنى عنها المسلم في كل شئون حياته فالعمل بالسنة رحمة واسعة ومنة كبيرة على المسلمين كافة

- اللهم اجعلنا من الذين يقتفون أثر النبى ﷺ في جميع شئون حياتهم وأعنا على ذلك يا أرحم الراحمين (آمين).

* * *

[من مفاتيح الرزق الإحسان إلى الضعفاء والفقراء]

(أحبتى في الله)

- إن من أفضل الأعمال عند الله في توسعة الرزق على العبد - الذي يملك المال - هو الإحسان إلى الضعفاء والمساكين حتى يبارك الله

له في ماله.

(في البخارى)

باب من اسْتعان بالضعَفاء والصالحِينَ في الحربِ.

وَقَالَ ابْن عَبَّاسٍ: أَخْبَرنِي أَبو سفْيانَ قَالَ: " قَالَ لِي قَيْصَر: سَأَلْتك أَشْرَاف النَّاسِ اتبعوه أَمْ ضعَفَاؤهمْ؟ فزَعَمْتَ ضعَفَاؤهمْ، وَهمْ أَتْباع الرّسلِ ".

- [٢٨٩٦] - حَدَّثَنَا سلَيْمان بْن حَرْبٍ: حَدَّثَنَا محَمَد بْن طَلْحَةَ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مصعَب بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأى سَعْد (١) رضي الله عنه أَنَّ لَه فَضْلا عَلَى مَنْ دونَه، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «هَلْ تنْصَرونَ وَترْزقونَ إِلَّا بضعَفَائِكم»؟ [رواه البخاري].

(من أسباب الرزق الإحسان إلى الضعفاء والفقراء، وبذل العون لهم، فهذا سبب في زيادة الرزق وهو أحد مفاتيحه)

(أحبتى في الله)

الحث على العناية بالضعفاء والمساكين؛ ولهذا حث النبي ﷺ على هذا بقوله: «هل تنصرون وترزقون إلا ضعفائكم» والله عز وجل قد جعل الإحسان إلى الفقراء والمساكين من صفات المتقين فقال عز وجل: {لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾} [البقرة: ١٧٧].

وقال عز وجل: { فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾} [الروم: ٣٨].

{ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾} [الإسراء: ٢٦].

* * *

من كتاب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري

للمؤلف: سعيد بن علي بن وهب القحطاني

مانصة:

فينبغي الحث على الإحسان إلى الفقراء والضعفاء، والله يحب المحسنين.

ثانيا: من أسباب النصر والرزق: الإحسان إلى الضعفاء:

دل هذا الحديث على أنه لا ينبغي للأقوياء القادرين أن يستهينوا بالضعفاء العاجزين: لا في أمور الجهاد والنصرة، ولا في أمور الرزق وعجزهم عن الكسب؛ لأن النصر على الأعداء وبسط الرزق قد يكون بسبب الضعفاء؛ ولهذا قال ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»؟ " وهم يكونون من أسباب النصر والرزق من عدة وجوه، منها:

١ - قد يكون النصر على الأعداء، وبسط الرزق بأسباب توجه الضعفاء إلى الله عز وجل وطلبهم النصر والرزق؛ لأنهم أشدّ إخلاصا في الدعاء، وأكثر خشوعا في العبادة، وأقوى توكلا وثقة بالله عز وجل؛ لسلامة قلوبهم وعدم تعلقها بزخارف الدنيا، فإذا دعوا الله على هذه الحال استجاب لهم، فينصر الله الأمة بسببهم، ويرزقهم من أجلهم

٢ - جعل الله أرزاق هؤلاء الضعفاء على أيدي القادرين والأغنياء، فإذا أعطوهم حقهم وأنفقوا عليهم رغبة فيما عند الله؛ فإن الله عز وجل يفتح لهم من أسباب النصر والرزق ما لم يكن لهم ببال ولا دار لهم في خيال، فكم من إنسانٍ كان رزقه قليلا فكثرت عائلته والمتعلقون به فقام بالواجب وأنفق عليهم، ونصره الله على أعدائه، وأمد الله وَوَسَّعَ في رزقه (١)؛

قال الله عز وجل: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} [سبأ: ٣٩]. وقال النبي ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٨ / ٨٩، وبهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، للعلامة عبد الرحمن السعدي ص ٢٤٤، وشرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين ٥ / ١٣١.

أَحدهما: اللهم أعطِ منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكا تلفا»[١] وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: " قال الله تعالى: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» [٢] وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «انفحي، أو انضحي [٣]، أو أنفقي، ولا تحصى فيحصي الله عليك [٤]، ولا توعي فيوعي [٥] الله عليك» [٦].

وفي صحيح البخاري [٧]: «لا توكي فيوكي الله عليك» [١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبى ﷺ والآخر يحترف فشكى المحترف أَخَاه إلى

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحسْنَى فَسَنيَسِّره لِلْيسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحسْنَى فَسَنيَسِّره لِلْعسْرَى ٢ / ١٤٧، برقم ١٤٤٢، ومسلم، كتاب الزكاة، باب المنفق والممسك، ٢ / ٧٠٠، برقم ١٠١٠.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، باب قوله: وكان عرشه على الماء، ٥ / ٢٥٤ برقم ٤٦٨٤، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، ٢ / ٦٩٠، برقم ٩٩٣.

(٣) انفحي، أو انضحي: أي أعطي، والنضح والنفح العطاء، وفي رواية « وارضخي ما استطعت » البخاري برقم ١٤٣٤، والرضخ العطاء أيضا. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ص ٥٦٩.

(٤) لا تحصي: أي لا تبخلي فتجازين علي بخلك، وأصل هذا من الإحصاء الذي هو العد، وَعبّرَ عن البخل بالإحصاء؛ لأن البخيل يعد ماله ويتحرَز بِهِ، ويغار عليه. انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٣ / ٧٤.

(٥) ولا توعي فيوعي الله عليك: أي لا تجمعي وتشحي بالنفقة، يشَحّ عليك، وتجازي بتضييق رزقك انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع العين، مادة: " وعا " ٥ / ٢٠٨.

(٦) متفق عليه: البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ٢ / ١٤٥، برقم ١٤٣٣، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهية الإحصاء، ٢ / ٧١٣ برقم ١٠٢٩.

(٧) البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها ٢ / ٤٤، برقم ١٤٣٣.

(١) لا توكي: أي لا تدَّخري وتشدي ما عندك وتمنعي ما في يديك، فتنقطع مادة الرزق عنك، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، باب الواو مع الكاف مادة: « وكا » ٥ / ٢٢٣.

النبي ﷺ فقال: «لعلك ترزق بِه».

(الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل، ٤ / ٤٧٤، برقم ٢٣٤٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢ / ٢٧٤).

٣ - دعاء المستضعفين المنفق عليهم؛ فإنهم يدعون الله عز وجل في كل أحوالهم لمن قام بمساعدتهم وأعانهم على فقرهم وضعفهم.

فينبغي أن يعلم الدعاة أن إعانة الضعفاء والعطف عليهم، والإحسان إليهم، بالقول والفعل من أسباب النصر والرزق والتوفيق.

دل الحديث على التواضع؛ لأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبي ﷺ ، بسبب شجاعته، ونحو ذلك من جهة الغنى وكثرة المال، فقال ﷺ :«هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟» وهذا فيه حث على التواضع ونفي الكبر والفخر، وترك احتقار المسلم في كل حالة.

(انظر: فتح الباري لابن حجر، ٦ / ٨٩، وعمدة القاري للعيني، ١٤ / ١٧٩).

فينبغي للمسلم التواضع وعدم الترفع على إخوانه المسلمين.

(انتهى)

من كتاب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري.

للمؤلف: سعيد بن علي بن وهب القحطاني.

(وإتماما للفائدة أنقل لك ماذكرة الإمام البيهقى في كتابة الآداب).

* * *

باب في فضل الإنفاق بالمعروف وكراهية البخل والإمساك

قال الله عز وجل في مدح المنفقين: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]، وقال في ذم البخلاء: {وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ} [الحديد: ٢٣ - ٢٤].

- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، وَآخَرُونَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، إِمْلاءً، حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ ابْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرِّدٍ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ بَشَّارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ، أَنْبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّزَّازُ، حَدَّثَنَا سَعْدُ ابْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُبَلِّغُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، أَوْ جُبَّتَانِ مِنْ لَدُنْ ثَدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَإِذَا أَرَادَ الْمُنْفِقُ أَنْ يُنْفِقَ سَبَغَتِ الدِّرْعُ عَلَيْهِ، أَوْ مَرَّتْ حَتَّى تُجِنَّ بَنَانَهُ، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَإِذَا أَرَادَ الْبَخِيلُ أَنْ يُنْفِقَ قَلَصَتْ عَلَيْهِ يَعْنِي الدِّرْعَ، وَلَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا حَتَّى أَخَذَتْ بِعُنُقِهِ أَوْ بِتَرْقُوَتِهِ فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَهِيَ لا تَتَّسِعُ».

- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ السَّقَا، قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ، حَدَّثَنِي ثَوْرٌ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَفَحِّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّهُ عِنْدَ اللهِ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ وَالْبُخْلَ فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ قَبْلَكُمْ إِلَى أَنْ يَقْطَعُوا أَرْحَامَهُمْ فَقَطَعُوهَا، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَهُمْ فَاسْتَحَلُّوهَا، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ فَسَفَكُوهَا».

- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ، وَأَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَزَّازُ، بِبَغْدَادَ، قَالا: أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْفَاكِهِيُّ، بِمَكَّةَ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى بْنُ أَبِي مَسَرَّةَ، حَدَّثَنَا الْمُقْبُرِيُّ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ، وَرُوِّينَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: لا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعُ فِي الْمَرْءِ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ».

(انتهى من كتاب الآداب للبيهقى)

* * *

[قصة تدل على فضل الإنفاق على الضعفاء]

نص حديث صاحب الحديقة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه قصة عظيمة تتعلق بالصدقة والنفقة، يرويها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: (بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة يقول: اسقِ حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال: يا عبد الله! لِمَ تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمَّا إذا قلتَ هذا، فإني أنظر إلى ما يَخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأردُّ فيها ثلثه) هذا حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى وأحمد في مسنده في كرامة وليٍّ من أولياء الله كان مشهوراً بالصدقة، والإنفاق في سبيل الله.

وقد حصل أن رجلاً كان يمشي بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في

سحابة، ولعل هذا الصوت صوت ملَك من ملائكة الله عز وجل، يقول: (اسقِ حديقة فلان) - يأمر السحاب، فالسحاب تنحَّى إلى حرَّة؛ وهي الأرض الملبسة بالحجارة السوداء، تنحَّى السحاب إليها، وأفرغ ماءه فيها كله - (فإذا شرجة من تلك الشراج...) شرجة من تلك الشراج، وهي: مسايل الماء في الحِرار أو الحرَّة، فيها طرق وأخاديد تمشي فيها المياه وتسيل، إحدى الشراج استوعبت الماء الذي أُمطر على الحرَّة كله، فتتبع الماء إلى أين يذهب؛ فإذا الماء يذهب إلى حديقة وبستان معين، وإذا رجل في البستان يحوِّل الماء بمسحاته، صاحب الحديقة يحوِّل الماء بالمسحاة وهي: المجرفة من الحديد.

فالذي سمع الصوت في السحابة يقول: (اسق حديقة فلان) جاء إلى صاحب الحديقة وقال له: (يا عبد الله - وهذا الذي ينادَى به الشخص غير المعروف الاسم، قال له بدل ما يقول: يا فلان قال: يا عبد الله - ما اسمك؟ قال: فلان...) سمَّى نفسه، فإذا بالاسم يطابق الاسم الذي سمعه في السحابة، الصوت الذي قال: (اسق حديقة فلان).

ثم إن صاحب البستان استغرب من سؤال هذا الرجل عن اسمه، فسأله: (لماذا تسأل عن اسمي؟) - فأخبره أنه سمع صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه لأنه تتبع المطر الذي نزل من هذه السحابة حتى وصل إلى هذا البستان - (فقال له: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسقِ حديقة فلان باسمك - نفس الاسم، تطابَقَ الاسم - فما تصنع فيها؟...) لماذا الماء الذي نزل من السحابة على الحرَّة نَزَل كلُّه في إحدى الشراج التي تؤدي إلى بستانك أنت بالذات؟ ماذا تصنع في هذه الحديقة؟.

قال: أمَّا إذا قلتَ هذا - أمَّا وقد قلتَ ما قلتَ وغُلِبْتُ ولا طريقة لإخفاء عملي - فإني أنظر إلى ما يَخرج منها - ثمار هذا البستان - فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه) فقسَّم الغلة ثلاثة أقسام.

فوائد حديث صاحب الحديقة

يؤخذ من هذا الحديث:

إثبات كرامات أولياء الله

أولاً: إثبات كرامات أولياء الله تعالى: وأن الله عز وجل قد يسخر سحاباً لسُقيا حديقة معينة وبستان معين من بين جميع البساتين في المنطقة؛ وذلك لصلاح صاحبه، ونفقته في سبيل الله.

فضل الإنفاق في سبيل الله وعلى الأهل والولد وأن الله يخلفه

ثانياً: فضل الإنفاق في سبيل الله، والإنفاق على الأهل والأولاد.

الفائدة الثالثة: أن الله سبحانه وتعالى يخلف النفقة ولا يضيع أجر المحسنين لا في الدنيا ولا في الآخرة: ولذلك فإنه سبحانه يعوِّض هذا الرجل كلما أنفق بماء يسقي بستانه من غير حفر من صاحبه ولا تعب، ماء يسيل بالذات لأجل إكرام هذا العبد.

إمكان سماع صوت الملائكة

ورابعاً: أنه يمكن شرعاً أن يسمع بعض الناس صوت الملائكة: وقد حدث أن الله سبحانه وتعالى أرسل بعض الملائكة لبعض الناس مثل: الملَك الذي أرسله الله على مدرجة رجل ذهب ليزور أخاً له في الله، فسأله واستوثق منه عن سبب ذهابه إليه، ثم أخبره أن الله يحبه على هذا الفعل.

وكان عمران بن حصين من الصحابة رضوان الله تعالى عنهم يسمع تسليم الملائكة عليه.

فإذاً: يمكن لبعض الناس البشر أن يسمع صوت الملائكة.

للسحاب ملائكة موكلون

وخامساً: أن الله تعالى قد وكل بالسحاب ملائكة يسوقونها إلى المكان الذي قدر الله عزوجل وشاء أن تمطر فيه فتمطر.

(تحقيق الحديث) صحيح مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٤)

ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢/٢٩٦).

* * *

[من مفاتيح الرزق العفة عما في أيدى الناس]

(أحبتى في الله)

- إن من أفضل مفاتيح الرزق العفة عما في أيدى الناس

- ويروى من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «شرف المؤمن قيامُه بالليل، وعزُّه استغناؤُه عن الناسِ» (١).

- وقال الحسن: لا تزالُ كريماً على الناس، أو لا يزالُ الناسُ يكرمُونَك ما لم تَعاطَ ما في أيديهم، فإذا فعلتَ ذلك، استخفُّوا بكَ، وكرهوا حديثك، وأبغضوك (٢).

- وقال أيوب السَّختياني: لا يَنْبُلُ الرجلُ حتى تكونَ فيه خصلتان: العفَّةُ عمَّا في أيدي الناس، والتجاوزُ عمّا يكون منهم (٣).

- وكان عمر يقول في خطبته على المنبر: إنَّ الطمع فقر، وإنَّ اليأس غنى، وإنَّ الإنسانَ إذا أَيِسَ من الشيء استغنى عنه (٤).

- وروي أنَّ عبد الله بن سلام لقيَ كعب الأحبار عند عمر، فقال: يا كعب، مَنْ أربابُ العلم؟ قال: الذين يعملون به، قال: فما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد إذ حفظوه وعقلوه؟ قال: يُذهبه الطمعُ، وشرَهُ النفس، وتطلبُ الحاجات إلى النَّاس، قال: صدقت (٥).

- وقد تكاثرت الأحاديثُ عن النَّبيِّ ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم، فمن سألَ النّاس ما بأيديهم، كرهوه وأبغضوه؛ لأنَّ المال محبوبٌ لنفوس بني آدم، فمن طلب منهم ما يحبُّونه، كرهوه لذلك.

- وأما من كان يرى المِنَّة للسائل عليه، ويرى أنَّه لو خرج له عن مُلكِه كُلِّه، لم يفِ له ببذل سؤاله له وذِلَّته له، أو كان يقول لأهله: ثِيابُكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودوابُّكم تحتَ غيركم أحسن منها تحتكم،

---

(١) أخرجه: الحاكم ٣٢٥/٤، وأبو نعيم في " الحلية " ٢٥٣/٣، والقضاعي في " مسند الشهاب " (١٥١) و(٧٤٦) من حديث سهل بن سعد، به، وإسناده ضعيف لضعف زافر ابن سليمان.

(٢) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٢٠/٣.

(٣) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٥/٣ بنحوه.

(٤) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٥٠/١.

(٥) أخرجه: ابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " ٦/٢ بنحوه مُختصراً.

فهذا نادرٌ جداً من طباع بني آدم، وقد انطوى بساطُ ذلك من أزمانٍ متطاولةٍ.

- وأما من زهد فيما في أيدي الناس، وعفَّ عنهم، فإنَّهم يحبُّونه ويُكرمونه لذلك ويسود به عليهم، كما قال أعرابيٌّ لأهل البصرة: من سيِّدُ أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بما سادهم؟ قالوا: احتاجَ الناسُ إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم [1]، وما أحسن قول بعض السَّلف في وصف الدُّنيا وأهلها:

- وما هِيَ إلاَّ جِيفةٌ مستحيلةٌ
- عليها كلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُها
- فإنْ تَجْتَنبها كنتَ سِلْماً لأهلها
- وإنْ تجتذبها نازعتك كِلابُها
- (أحبتى في الله)

- العفة عما في أيدي الناس من أجمل أخلاق العبد المسلم، فكن أخي المسلم عفيفاً مستغنياً عما في أيدي الناس؛ لتبقى عندهم سيداً محبوباً جليلاً مهيباً ينتفع بك، واعلم أنك إذا طمعت فيما في أيدي الناس فقد بعت دينك بدنياك وأصبحت لديهم محتقراً مهيناً، ممقوتاً، ثقيلاً، مرذولاً، وهان عليك كل ما تلاقيه من أنواع الذلة والإهانة في سبيل الحصول على ذلك الحطام الفاني، وهذا يا أخي هو السقوط الذي لا خلاص منه والفقر الذي لا غنى معه.

فكن نزيه النفس عن شبه المكاسب واكتف بالميسور عن ذل المطالب؛ فإن شبه المكتسب إثم، وكدّ الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعزّ أليق به من الذل.

وصدق من قال:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ::: فإنّ ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة ::: إلا بإذن الذي سواك من طين

(١) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ١٤٧/٢ - ١٤٨ بنحوه مُختصراً.

فلا تصاحب غنياً تستعز به ::: وكن عفيفاً وعظم حرمة الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ::: فإن رزقك بين الكاف والنون

- يقول الشيخ عائض القرني في بعض دروسة:

- والحديث المشهور: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» وهذا الحديث مما اضطربت فيه الأقوال، فبعضهم يضعفه، وبعضهم يصححه، لكن يقول ابن حجر: حديثٌ حسن رواه ابن ماجة، وغيره بسند حسن.

- إذا عُلِمَ هذا؛ فإن من زهد فيما في أيدي الناس؛ قَبِل الناس منه، والداعية لا يطلب الأجر من الناس، ولا يتقاضى مرتباً على دعوته، بل يطلب الأجر من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى، قال تعالى: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} [سبأ: ٤٧]، ولذلك ردَّ الله على كفار مكة، فقال: {أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾} [الطور: ٤٠]، كأنك تطلب منهم شيئاً، فهم مثقلون من الطلب الذي تطلبه، وقد غرموا عليك غرامة، بل أنت ما أخذتَ منهم شيئاً، ولذلك ما مدَّ يده.

- وإذا مدَّ الداعيةُ يدَه إلى الناس؛ باءت دعوتُه بالفشل، قال ابن الجوزي عن بعض الوعَّاظ، ذكرهم في القصاص، قال: كان يقف على المنبر، فيُبكي الناس، فإذا انتهى قال: " والله لا أنزل من على هذا المنبر حتى تملئوا هذا الخرج ذهباً "، وهذا مثل أحمد الغزالي، وهو أخو محمد الغزالي صاحب الإحياء، كان هذا يأخذ التبرعات بالقوة، ولذلك يقولون: ما قبل الناس منه فيما بعد، قدمت له امرأة سواراً من ذهب، تتبرع، قال: " قدمي السوار الآخر الذي في يدك اليسرى قطعها الله " فقدمته، وهؤلاء ذهبوا إلى الله عز وجل.

- وبعضهم يطلب أجراً معنوياً، لا يطلب دراهم؛ لكن يحب أن يُصَدَّر في صَدْر المجلس، ويحب أن يُدعَى بسماحة الشيخ، وفضيلة الشيخ، وأن يُقَبَّل على رأسه، هذا إذا بُلِيَ به واستغفر الله منه أُجِرَ على ذلك، أما إذا طلب هذا الأمر وهو الأجر المعنوي والأجر الحسي فيكون الخلاص منه مدخولاً والرياء حاصلاً؛ بتواجد هذا الأجر المعنوي أو

الحسي، ولذلك من يطلب هذه الأمور لا تأتي إليه، كتب أبو بكر لـ خالد: [فِرّ مِن الشرف يتبعك الشرف] أي: فِرّ من هذه الأمور، تتبعك هي، لكنك إذا تبعتها فرَّت منك.

- والله المستعان!

- وإنما تشوَّه علمُ مَن تشوَّه؛ لأنهم طلبوا الدنيا، وجعلوا علمهم شبكة للدنيا ومصيدة لها، فجمعوا وأخذوا، فطمس الله نور العلم منهم.

- يقول عبد القادر الجرجاني، في قصيدة مليحة له، وكان منقبضاً عن الدنيا، وعن الناس، كان يعلِّم الناس، ولا يأخذ على ذلك شيئاً، فقالوا: ما هذا الانقباض؟! فردَّ بقصيدة من أجمل القصائد:

يقولـــونَ لي فيـــك انقبـــاضٌ ::: وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أأشقى بـــه غَرســـاً وأجنيـــه ذلَّـــةً ::: إذاً فاتباع الجهل قد كـــان أحزمـــا
ولـــو أن أهـــل العلـــم صـــانوه ::: صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكـــــن أهـــــانوه فهـــــانوا ::: ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهمـــا

(انتهى كلام الشيخ رحمة الله)

* * *

من مفاتيح الرزق ـ تقوى الله في السر والعلن

(أحبتى في الله)

- أخى المسلم -

عليك بتقوى الله في السر والعلن، وأبشر بالخير الكثير والفرج القريب قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ} [الطلاق: ٢ - ٣].

وقال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا} [الطلاق: ٥].

فمن رغب في رزق الله له، فلا ينسَ الضعفاء والمساكين، فإنما بهم يُرزق، ولهذا كان ﷺ يقول: «ابغوني في ضعفائكم فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم» [رواه النسائي وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. ابغوني: تقربوا إليَّ بالتقرب إليهم وتفقد حالهم، وحفظ حقوقهم، والإحسان

إليهم قولا وفعلا واستنصارا.

يا فاطرَ الخَلْقِ البديعِ وكافلاً ::: رزقَ الجميعِ سحابُ جُودِكَ هاطِلُ
يا مُسبغَ البرِّ الجزيلِ ومُسبلَ الـ ::: ستر الجميلِ عميمُ طَوْلِكَ طائلُ
يا عالِمَ السِّرِّ الخفيِّ ومُنجزَ الـ ::: وعدِ الوفيِّ قضاءُ حُكمِكَ عادلُ
عظُمَتْ صفاتُكَ يا عظيمُ فَجَلَّ أنْ ::: يُحصي الثناءَ عليكَ فيها قائلُ
ربٌّ يُربِّي العالمينَ ببِرِّهِ ::: ونَوالُهُ أبدًا إليهم واصلُ

(من فضائل تقوى الله)

من فضائل التقوى -

١] الحمد والثناء: قال تعالى: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ} [آل عمران: ١٨٦].

٢] الحفظ والحراسة من الأعداء: قال تعالى: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾} [آل عمران: ١٢٠].

٣] التأييد والنصرة: قال تعالى: { إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل: ١٢٨].

٤] النجاة من الشدائد والرزق الحلال: قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾} [الطلاق: ٢ - ٣].

٥] محبة الله: - قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٤] ٤

٦] قبول الأعمال: قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ } [المائدة: ٢٧].

٧] النجاة من النار: - قال تعالى: { ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ} [مريم: ٧٢].

٨] الإعزاز والإكرام: قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات: ١٣].

٩] الولاية والبشارة عند الموت: قال تعالى: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

١٠] إصلاح العمل وغفران الذنوب: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

١١] الخلود في الجنة: قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)} [آل عمران: ١٣٣].

١٢] تيسير الامور: قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق: ٤].

١٣] المغفرة والعلم: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)} [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٢].

١٤] الفلاح في الدنيا والآخرة: قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٣٠].

١٥] غفران الذنوب وإعظام الأجور: قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [الطلاق: ٥].

١٦] الهداية من الله: قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢].

الأسباب المؤدية إلى تقوى الله: -

١ - الخوف من عذاب الآخرة: إذا استحضر المؤمن أمامه يوم القيامة وكيف تطير صحائف الأعمال وكيف يقابل المولى العظيم بذنوبه الكثيرة يشفق على نفسه.

٢ - الخوف من عقاب الدنيا: إن الله له عقوبات في الدنيا لمن تعدى حدوده، أمراض بالأبدان، وضيق بالرزق، وذم على ألسنة الخلق، وقد ينال بطش الجبار من يظلم نفسه أو غيره في أي لحظة فيردع ذلك المؤمن ويوفقه إلى تقوى الله.

٣ - رجاء ثواب الآخرة: مَن مِن العقلاء يرضى لنفسه ثواباً دون

الجنة التي لم يرض الله ثواباً غيرها لعبادة المؤمنين.

٤ - رجاء ثواب الدنيا: إن الله ينضّر وجه المتقين، ويطمئن قلوب الصالحين، ويرغّد حياة المؤمنين بتقواه.

٥ - الحياء من نظر الله: هذه مرتبة المحسنين الذين عرفوا الله قدره فاستحيوا منه وحفظوا الله جنابه فلهذا وجلوا منه ورأوا كرمه ونعمته فلهذا تحببوا إليه أولئك بحق هم المتقون.

- العلم: قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟} [فاطر: ٢٨]، أي أن الذين يخافون إنما هم العلماء بأمره ونهيه ووعيده وثوابه.

٧ - صدق المحبة لله تبارك وتعالى: فمن صدقت محبته صدقت عبوديته وخوفه من الله تبارك وتعالى، قال بعض الصالحين: رأيت شاباً عليه آثار القلق ودموعه تتحادر فقلت له من أنت؟ فقال آبق من مولاه، قلت تعود وتعتذر، قال: العذر يحتاج إلى حجة فكيف يعتذر المفرط، قلت له تتعلق بشفيع، قال كل الشفعاء يخافون منه، فقلت من هو؟ قال: مولى رباني صغيراً فعصيته كبيراً فوا حيائي منه ومن حسن صنيعه وقبح فعلي.

* * *

احفظ الله يحفظك

عن أبي العباس عبد الله بن عباس ب قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي: «يا غلام إني أعلمُكَ كلماتٍ.. احفظِ الله يحفظْكَ، احفظِ الله تجدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لكَ، وإنْ اجتمعوا على أنْ يَضُروكَ بشيءٍ لم يَضُروكَ إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتْ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

قوله ﷺ: " احفظ الله.. " يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه.. فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه وقال

عز وجل: {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾} [ق: ٣٢ - ٣٣]، وفُسر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها.

ومما يجب حفظه: حفظ الرأس والبطن، كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - المرفوع: " الاستحياءُ من الله حقَّ الحياءِ أنْ تحفظَ الرأسَ وما وعى، وتحفظَ البطنَ وما حَوَى ". [خرجه الإمام أحمد والترمذي] وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله، قال الله عز وجل: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة: ٢٣٥].

وقد جمع الله ذلك كله في قوله: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

ويتضمن أيضا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب.

ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل: اللسان والفرج، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَن حَفِظَ ما بين لَحْيَيْهِ وما بينَ رِجليهِ دخلَ الجنةَ» [أخرجه الحاكم].

وأَمَرَ الله عز وجل بحفظ الفرج، ومدح الحافظين لها فقال: {الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥].

وقال أبو إدريس الخولاني: أول ما وصى الله به آدم عند إهباطه إلى الأرض حفظ فرجه، وقال: لا تضعه إلا في حلال.

وقوله ﷺ: «يحفظك.. » يعني أنَّ مَن حفظ حدود الله، وراعى حقوقه حفظه الله؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} [البقرة: ٤٠]، وقال: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ} [محمد: ٧].

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه،

كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله.. قال الله عز وجل:{لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ} [الرعد: ١١]، قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه. وقال عليّ - رضي الله عنه -: إنَّ مع كل رجل مَلَكين يحفظانه مما لم يُقدر، فإذا جاء القَدَر خَلَّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجل جُنَّة حصينة. وقال مجاهد: ما مِن عبد إلا وله مَلَك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما مِن شيء يأتيه إلا قال له: وراءك.. إلا شيئًا أذن الله فيه فيصيبه. وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر بقال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألُكَ العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللهم إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ وأهلي ومالي، اللهم استُرْ عوراتي، وآمِنْ رَوْعاتي، واحفظني مِن بينِ يديَّ ومِن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومِن فوقي، وأعوذُ بعظمتِكَ أنْ أُغتال مِن تحتي».

ومَن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.. وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو مُمَتَّع بقوته وعقله، فوثب يومًا وثبة شديدة؛ فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر؛ فحفظها الله علينا في الكبر.. وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخًا يسأل الناس، فقال: إن هذا ضَيَّع الله في صغره؛ فضيعه الله في كبره.

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما قيل في قوله تعالى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا} [الكهف: ٨٢]، أنهما حُفظا بصلاح أبيهما. قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك رجاء أنْ أُحفَظ فيك، ثم تلا هذه الآية:{وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا} [الكهف: ٨٢]، وقال عمر بن عبد العزيز: ما مِن مؤمن يموت إلا حفظه الله في عَقِبه وعَقِب عَقِبه. وقال ابن المنكدر: إنَّ الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله؛ فما يزالون في حفظ من الله وستر.. ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فإنَّ الله يحفظه في تلك الحال.

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ قال: «كانت امرأةٌ في بيتٍ، فخرجتْ في سَرِيَّةٍ من المسلمين، وتركتْ ثنتي عشرةَ عَنْزَةً وصِيصِيَتَها كانت

تنسج بها. قال: ففقدتْ عنزةً لها وصِيصِيَّتَها، فقالت: يا ربِّ! إنك قد ضمنتَ لمن خرجَ في سبيلِكَ أنْ تحفظَ عليهِ، وإني قد فقدتُ عنزًا مِن غنمي وصِيصِيَّتي، وإني أنشدكَ عنزةً لي وصيصيتي..» قال: وجعل النبي ﷺ يذكرُ شدةَ مناشدتِها ربَّها تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «فأصبحتْ عنزُها ومثلُها» (١) [رواه أحمد، وصححه الألباني].

فمَن حفظ الله حفظه الله من كل أذى، قال بعض السلف: مَن اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومَن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه، والله غنى عنه..

ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى كما جرى لـ " سفينة " مولى النبي ﷺ حيث كُسِر به المركب، وخرج إلى جزيرة، فرأى الأسد؛ فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق..! فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه، ثم رجع عنه..! ورُؤي إبراهيم بن أدهم نائمًا في بستان، وعنده حَيَّة في فمها طاقة نرجس، فما زالت تذب عنه حتى استيقظ..!

وعكس هذا أنَّ مَن ضيع الله ضيعه الله؛ فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم، كما قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلُق خادمي ودابتي.

النوع الثاني من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته مِن الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته؛ فيتوفاه على الإيمان.. قال بعض السلف: إذا حضر الرجل الموت يُقال للمَلَك: شُم رأسه، قال: أجد في رأسه القرآن.. قال: شُم قلبه، قال: أجد في قلبه الصيام.. قال: شُم قدميه، قال: أجد في قدميه القيام.. قال: حفظ نفسه؛ فحفظه الله.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه أمره أن يقول عند منامه: «إنْ قبضتَ نفسي فارحمها، وإنْ أرسلتها فاحفظها بما تحفظُ بِهِ عبادَكَ الصالحين». وفي حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم احفظني بالإسلامِ قائمًا، واحفظني بالإسلامِ قاعدًا،

(١) وصيصيتُها هي الصنارة التي يُغزَل بها ويُنسج.

واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تُشمِتْ بي عدوًا حاسدًا». [رواه الحاكم في المستدرك، وحسنه الألباني].

وكان النبي ﷺ يُوَدِّع مَن أراد سفرا، فيقول: «أستودِعُ الله دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ عملِكَ». وقال ﷺ: «إنَّ الله إذا استُودِعَ شيئًا حفظَهُ» [رواه أحمد، والنسائي، والطبراني، وصححه الألباني].

وفي الجملة فإنَّ الله عز وجل يحفظ المؤمن الحافظ لحدود دينه، ويحول بينه وبين ما يُفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ، وقد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون كارهًا له، كما قال في حق يوسف: {كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ} [يوسف: ٢٤]، قال ابن عباس في قوله تعالى: {وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ} [الأنفال: ٢٤]، قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار. وقال الحسن وقد ذكر أهل المعاصي: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم. وقال ابن مسعود: إنَّ العبد ليهم بالأمر مِن التجارة والإمارة حتى ييسَّر له، فينظر الله إليه، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه؛ فإنه إنْ يسرتُهُ له أدخلتُه النار.. فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير بقوله: حسدني فلان، ودهاني فلان.. وما هو إلا فضل الله عز جل!

وقال ﷺ: «احفظ الله تجده تجاهك..»، وفي رواية: «.. أمامك..» معناه أنَّ مَن حفظ حدود الله، وراعى حقوقه؛ وجد الله معه في كل أحواله حيث توجَّه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويُسدده: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل: ١٢٨]، قال قتادة: مَن يتقِ الله يكن معه، ومَن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تُغلَب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل. وكتب بعض السلف إلى أخ له: أما بعد؛ فإنْ كان الله معك فمَن تخاف؟ وإنْ كان عليك فمَن ترجو؟

وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون: {لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: ٤٦]، وقول موسى: {كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ} [الشعراء: ٦٢]، وفي قول النبي ﷺ لأبي بكر وهما في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما..»، {لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠].

فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة، بخلاف المعية المذكورة في قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧]؛ فإن هذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه.

والمعية الأولي تقتضي حفظه وحياطته ونصره.. فمَن حفظ الله، وراعى حقوقه وجده أمامه ونجاه على كل حال؛ فاستأنس به، واستغنى عن خلقه، كما قيل لبعضهم: ألا تستوحش وحدك؟ فقال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس مَن ذكرني. وقيل لآخر: أما معك مؤنس؟ قال: بلى.. قيل: أين هو؟ قال: أمامي ومعي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وفوقي، [جامع العلوم والحكم (بتصرف)].

قال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكةُ: ربِّ! ذاك عبدُك يريدُ أن يعملَ سيئةً وهو أبصرُ به فقال: ارقبوه، فإنْ عملَها فاكتبوها له بمثلِها، وإنْ تركها فاكتبوها له حسنةً، إنما تركها من جرايَ» [رواه مسلم].

(من جرايَ): إنما تركها لله.. إنما تركها تعظيما لله.. إنما تركها خوفا من الله.. إنما تركها اجتنابا لعذابه وسخطه وناره يوم الدين.. (تركها من جرايَ)، وما أكثر عرض السيئات اليوم علينا صباح مساء.. فمَن ترك شيئا من هذه السيئات لله فإنه يؤجر على ذلك، قال العلماء: يؤجر على ترك السيئات إذا كان قادرا عليها وتركها لله.

* * *

[الصيام يحقق تقوى الله في السر والعلن]

قال عمر بن عبد العزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمَن رُزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير.

ويتحقق قوله تبارك وتعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) إذا تقرب العباد إليه سبحانه [بترك ما حرم الله في كل حال؛ من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «مَن لم يَدَعْ

قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ فليسَ لله حاجةٌ في أنْ يَدَعَ طعامَه وشرابَه» [رواه البخاري]، وفي حديث آخر: «ليسَ الصيامُ مِنَ الطعام والشرابِ إنما الصيامُ من اللغوِ والرَّفَث» [رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه الألباني].

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام. وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

إذا لم يكن في السمعِ مني تصاونٌ ::: وفي بصري غضٌّ وفي مَنطقي صمتُ
فحظي إذًا من صوميَ الجوعُ والظما ::: وإنْ قلتُ إني صمتُ يومي فما صمت

وقال النبي: «رُبَّ صائمٍ حظُّه مِن صيامِه الجوعُ والعطشُ، ورُبَّ قائمٍ حظُّه مِن قيامِه السهرُ» [رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة، وقال الألباني: حسن صحيح].

وسر هذا أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات؛ فمَن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة مَن يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل؛ وإن كان صومه مجزئا عند الجمهور؛ بحيث لا يؤمر بإعادته لأن العمل إنما يَبطل بارتكاب ما نُهي عنه فيه لخصوصه؛ دون ارتكاب ما نُهي عنه لغير معنى يختص به. هذا هو قول جمهور العلماء.

* * *

من مفاتيح الرزق - الزواج

(أحبتي في الله)

إن الزواج من الأسباب الجالبة للرزق، قال تعالى: {وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾} [النور: ٣٢].

فالنكاح جالب للبركة، وفي خبر آخر: " تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال " أي: بما يرزق الله بسببهن هذا إذا خلصت النية في هذا العمل لله،

وهذا أمر مجرب مشاهد بالعيان، ويصدق هذا الحديث قول الله تعالى في محكم تنزيله: {وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾} [النور: ٣٢].

وقد أخرج عبد الرزاق وأحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله».

وقد روى السيوطي في الدر المنثور أن الخطيب أخرج في تاريخه عن جابر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو إليه الفاقة فأمره أن يتزوج.

وقال ابن كثير في تفسيره:

قال ابن عباس: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى، فقال: {إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النور: ٣٢]، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: {إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النور: ٣٢]، وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: {إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النور: ٣٢].

الزواج

السؤال: لماذا نتزوج؟

الجواب: إن الزواج هو أساس المجتمع، وأية حركة في الحياة وفي المجتمع تستند في الأساس على مسألة الزواج. ويريد الحق سبحانه وتعالى أن يضمن الاستقرار والسعادة للكائن الذي كرّمه واستخلفه في الأرض وجعل كل الأجناس مسخَّرة لخدمته.

يريد الحق سبحانه أن يصدُر ذلك الكائن عن ينبوع منهجيّ واحد؛ لأن الأهواء المتضاربة هي التي تُفسد حركة الحياة، فأراد أن يصدُر المجموع الإنسانيُّ كله عن ينبوع عَقَديّ واحد، وأراد أن يحميَ ذلك الينبوع من أن يتعثر بتعدد النزعات والأهواء، ولذلك ينبهنا سبحانه إلى هذا الموقف. وهو عز وجل يريد سلامة الوعاء الذي سيُوجِدُ ذلك الإنسانَ

بعد الزواج، فبالزواج ينجب الإنسان وتستمر الحياة بالتكاثر، ولذلك لابد من الدقة في اختيار الينبوع الذي يأتي منه النسل، ومن هنا تأتي أهمية اختيار الرجل للزوجة المؤمنة الصالحة، وكذلك اختيار المرأة للزوج المؤمن الصالح.

إن للإنسان عمرًا محدودًا في الحياة وسينتهي؛ لذلك يجب أن يستبقيَ الإنسانُ النوعَ في غيره. كيف؟

نحن نتزوج كي يرزقنا الله بالذرية والبنين والحفدة وتستمر الحلقات، وهذا استبقاء للنوع الإنسانيّ، والحق سبحانه يريد أن يكون الاستبقاء للنوع كريمًا؛ لذلك يأمرنا الحق سبحانه أن نستبقيَ النوع بأن نختار له الوعاء الطاهر، فإياك أن تستبقيَ نوعًا من وعاء نجس اختلَط فيه ماءُ أناس متعددين فلا يدري أحد لمن يُنسَب الولد فيصيرَ مضيَّعًا في الكون مجهول النسب، فأوضح الله للإنسان أن يختار لنفسه الوعاء النظيف ليستبقيَ النوع بكرامة. والحصول على المرأة النظيفة إنما يكون بما شرعه الله، أي بالزواج فقط (وقد حفَل القرآن الكريم والسنة النبوية بالآيات والأحاديث التي ترغب في الزواج، منها: {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١]، وقوله: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [النساء: ٣]، وقوله: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} [النور: ٣٢]، وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١].

ومن السنة المطهرة، أخرج البخاريّ ٥٠٦٥ ومسلم ١/١٤٠٠ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء**».

وروى ابن ماجه ١٨٦٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من أراد أن يَلقَى الله طاهرًا مطهَّرًا فليتزوَّجْ الحرائرَ**» وضعفه الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤١٠.

وروى الترمذيّ ١٠٨٠ عن أبي أيوب - رضي الله تعالى عنه - قال:

قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح» وضعفه الألبانيّ في ضعيف الترمذيّ ١٨٤.

وأخرج مسلم ١٤٦٧/ ٥٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».

وروى ابن ماجه ١٨٥٧ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة إن أمَرَها أطاعته، وإن نظَر إليها سرَّته، وإن أقسَم عليها أبَرَّته، وإن غاب عنها نصَحَته في نفسها وماله» وضعفه الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤٠٨.

وروى ابن ماجه ١٨٥٦ عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأيَّ المال نَتَّخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك. فأوضَعَ على بعيره فأدرَك النبيَّ ﷺ وأنا في أثَره، فقال: يا رسول الله، أيَّ المال نَتَّخذ؟ فقال: «ليتَّخِذْ أحدُكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجةً مؤمنةً تُعين أحدكم على أمر الآخرة» وصححه الألبانيّ في صحيح ابن ماجه ١٥٠٥.

وروى الطبرانيّ ١١٢٥٧/١٣٤/١١عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «أربعٌ من أُعطِيهُنَّ فقد أُعطيَ خيرَ الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجةً لا تَبغيه حَوبًا في نفسها وماله». قال الهيثميّ في مجمع الزوائد: رواه الطبرانيّ في الكبير والأوسط، وإسناد أحدهما جيد.

الحَوب - بفتح الحاء المهمَلة وتُضَمّ - هو الإثم.

وروى أحمد في المسند ١٦٨/١ عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثةٌ ومن شقاوة ابن آدم ثلاثةٌ؛ من سعادة ابن آدم المرأةُ الصالحةُ والمسكنُ الصالحُ والمركبُ الصالحُ، ومن شقاوة ابن آدم المرأةُ السوءُ والمسكنُ السوءُ والمركبُ السوءُ». ورواه الحاكم ١٥٧/٢/ ٢٦٤٠ وصححه، إلا أنه قال: «والمسكن الضيق».

وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٢ إلا أنه قال: «أربع من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهَنيءُ، وأربع من الشقاء: الجارُ السوءُ، والمرأةُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيقُ». وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاريّ.

وروى الحاكم في المستدرك ١٧٥/٢/ ٢٦٨١ والطبرانيّ في الأوسط ٥٢٢/١/ ٩٧٦ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحةً فقد أعانه على شطر دينه فليتَّق الله في الشطر الباقي». وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وروى الترمذيّ ١٦٥٥ وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٠ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف». وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

وروى البيهقيّ ٧٨/٧/ ١٣٢٣٣ والطبرانيّ في الكبير ٣٦٦/٢٢/ ٩٢٠ عن أبي نَجيح رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان مُوسِرًا لأن يَنكِحَ ثم لم يَنكِحْ فليس مني». قال المنذريّ: رواه الطبرانيّ بإسناد حسن والبيهقيّ، وهو مرسل، واسم أبي نجيح يَسار، بالياء المثناة تحت، وهو والد عبد الله بن أبي نَجيح المكيّ.

وأخرج البخاريّ ٥٠٦٣ عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبيّ ﷺ يسألون عن عبادة النبيّ ﷺ فلما أُخبِروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبيّ ﷺ! قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا كذا؟ أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رَغب عن سنَّتي فليس منّي».

وروى أحمد في المسند ٨٠/٣ عن أبي سعيد الخدريّ - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنكَح المرأة على إحدى خصال ثلاث:

تُنكَح المرأة على مالها، وتُنكَح المرأة على جمالها، وتُنكَح المرأة على دينها، فخُذ ذاتَ الدين والخُلُق تَرِبَت يمينك».

وأخرج البخاريّ ٥٠٩٠ ومسلم ٥٣/١٤٦٦ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تُنكَح المرأة لأربع: لمالها ولحَسَبها ولجمالها ولِدِينها، فاظفَر بذات الدين تَرِبَت يداك».

قال المنذريّ: " تَرِبَت يداك " كلمة معناها الحث والتحريض. وقيل: هي هنا دعاء عليه بالفقر. وقيل: بكثرة الماء. واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما، والآخر هنا أظهر. ومعناه: اظفَرْ بذات الدين ولا تلتفت إلى المال، أكثَرَ اللهُ مالَك. ورُوي الأول عن الزهريّ، وأن النبيّ ﷺ إنما قال له ذلك لأنه رأى الفقر خيرًا له من الغنى. والله أعلم بمراد نبيه ﷺ.

وفي مسند الشاميِّين ١١/٢٩/١ عن أنس - رضي الله تعالى عنه - عن النبيّ ﷺ: «من تزوَّج امرأة لعزِّها لم يَزِدْه الله إلا ذُلًّا، ومن تزوَّجها لمالها لم يَزِدْه الله إلا فقرًا، ومن تزوَّجها لحُسنها لم يَزِدْه الله إلا دناءة، ومن تزوَّجها لم يتزوَّجها إلا ليَغُضَّ بصرَه ويُحصِّنَ فَرْجَه أو يَصِلَ رَحِمَه بارَكَ الله له فيها وبارَكَ لها فيه».

وروى ابن ماجه ١٨٥٩ عن عبد الله بن عمرو - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزوَّجوا النساءَ لِحُسنهنَّ فعسى حُسنُهنَّ أن يُرْدِيَهنَّ، ولا تزوَّجوهنَّ لأموالهنَّ فعسى أموالُهنَّ أن تُطغيَهنَّ، ولكن تزوَّجوهنَّ على الدين، ولَأَمَةٌ خَرماءُ سوداءُ ذاتُ دينٍ أفضلُ» وقال الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤٠٩: ضعيف جدًّا.

وروى أبو داود ٢٠٥٠ عن معقل بن يسار - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت امرأةً ذاتَ حسَب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوَّجوا الوَدودَ الوَلودَ؛ فإني مُكاثرٌ بكم الأممَ». وقال الألبانيّ: حسن صحيح. صحيح أبي داود ١٨٠٥.

* * *

صفات المرأة الصالحة

(أحبتى في الله)

إن الزوجة الصالحة هي المرأة المؤمنة العابدة، التي تحفظ نفسها، وتحفظ زوجها في نفسه وعرضه، وتحفظه في ماله وولده، وهي التي تُحسن معاملة زوجها وأهلها وجيرانها، وتُحسن إدارة بيتها الذي هو مملكتها الخاصة التي جعلها الله سبحانه وتعالى ملكة متوَّجة عليه.

فالزوج قد يقضي في منزله ساعات قليلة في اليوم لكن المرأة تقضي معظم وقتها في بيتها، فإن كانت صالحة صلَح البيت كله وإن كانت فاسدة فسَد البيت كله. ولم لا وهي بمثابة القلب للإنسان، فإن صلَح القلب صلَح الجسد كله وإن فسَد القلب فسَد الجسد كله وضاع صاحبه!

إن المرأة الصالحة لها عمل عظيم في حياتها وبيتها لا يَقلّ إن لم يَزِدْ عن عمل الرجل وكَدِّه في الحياة لتوفير المال، فالمرأة سكن لزوجها وحضن لأطفالها ووزيرة اقتصاد لشؤون بيتها، تعامل زوجَها - كما أمَرَ ربها سبحانه وتعالى - بالمودة والرحمة والطاعة التامة في غير معصية، وتربّي أولادها تربية إسلامية صحيحة رشيدة، فتَغرس فيهم مبادئ الإسلام العظيم منذ الصغر فينشؤون صالحين في المجتمع.

الزوجة الصالحة تقوم على شأنه، وتُعينه على طاعة ربه، وتحفظه في حضوره وغيابه، وتنصحه وتشير عليه، وتُخفّف عنه ولا تُثقل عليه، إذا نظَر إليها سرَّته، وإن دعاها أجابته، وإذا غاب عنها حفظته.

* * *

زوجة عابدة

وعن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت " حبيبة العدوية " إذا صلَّت العتمة قامت على سطح لها، وشدَّت عليها درعها وخمارها، ثم قالت: إلهي قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك.

ثم تقبل على صلاتها، فإذا طلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقَبِلْتَ مني ليلتي فأهنأ، أم رددتها عليّ فأعزى؟ وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني عن

بابك ما برحت، لما وقع في نفسي من جودك وكرمك.

وقال الهيثم بن جماز: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعستُ ترشُّ عليّ الماء في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها، وتقول: " أما تستحيي من الله؟ إلى كم هذا الغطيط؟ فوالله إن كنت لأستحيي مما تصنع ".

وقال بعض الصالحين: خرجت يومًا إلى السوق ومعي جارية حبشية، فاحتبست في موضع بناحية السوق، وذهبت في بعض حوائجي، وقلت: لا تبرحي حتى أنصرف إليك، قال: فانصرفت، فلم أجدها في الموضع، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي، فقالت: يا مولاي لا تعجل عليّ، إنك أجلستني في موضع لم أر فيه ذاكرًا لله تعالى، فخفت أن يُخسف بذلك الموضع. فعجبت لقولها، وقلت لها: أنت حرة.

فقالت: ساء ما صنعت، كنت أخدمك فيكون لي أجران، وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما [1].

إن الزوجة الصالحة العابدة، التي تسلك طريق العابدات الخاشعات، لهي القدوة الصالحة لأبنائها، وهي أم لجيل صالح عابد إن شاء الله تعالى.

ولذلك يجب على المسلم عند الزواج أن يختار الزوجة الصالحة المتدينة؛ لقول النبيّ ﷺ: «فاظفَر بذات الدين تَربَت يداك» أي: امتلأت يداك بالخير وقلبك بالسعادة (أخرجه البخاريّ ٥٠٩٠ ومسلم ٥٣/١٤٦٦).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: «تُنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفَر بذات الدين تَربَت يداك») وكذلك على المرأة ووليِّها أن يختارَا الزوجَ الصالح وإن كانَ فقيرًا؛ لقول النبيّ ﷺ: «إذا جاءكم مَن تَرضَون دينَه فزوِّجوه» (روى الترمذيّ ١٠٨٤ وابن

(١) راجع أحكام النساء لابن الجوزي، وصفة الصفوة لابن الجوزي أيضًا، وإحياء علوم الدين للغزالي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وعودة الحجاب لمحمد إسماعيل جـ٢، وأخبار النساء في سير أعلام النبلاء لعبيد الشعبي، ونساء زاهدات لمحمد خير يوسف.

ماجه ١٩٦٧).

عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطَب إليكم مَن تَرضَون دينَه وخُلُقَه فزوِّجوه، إلّا تفعلوا تكُنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض». وقال الألبانيّ في صحيح ابن ماجه ١٦٠١: حسن).

فالرجل المؤمن الصالح إن أحب زوجته حَفِظها وإن كَرِهها لم يَبخَسها حقَّها (أخرج مسلم ١٤٩٦/ ١١ وأحمد في المسند ٣٢٩/٢ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفرَك مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ»).

وذلك لأن منطلقاتها وغايتها في الحياة تختلف اختلافًا كبيرًا عن منطلقات وغاية المرأة العادية.

قيل لرسول الله ﷺ: أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره»[1].

وصدق من قال:

وخير النساء من سَرَّت الزوج منظرًا ::: قصيرةُ ألفاظٍ، قصيرة بيتها
عليك بذات الدين تظفر بالمنى ::: ومن حفظته في مغيب ومشهد
قصيرةُ طرف العين عن كل أبعد ::: الودود الولود الأصلِ ذات التَعبد

إذن فاختيار المرأة الصالحة ذات الدين زوجة للرجل، هو الاختيار الصائب والضروري.

فهي مستقيمة على دين الله ظاهرًا وباطنًا، بلا توان أو تردد أو تكاسل أو تسويف أو هوى:

فالاستقامة على الدين عندها، ليست استقامة القشور والمظاهر، وإنما استقامة حقيقية يحبها الله تعالى، وهي موافقة العمل للأحكام الشرعية وإخلاصه لله عز وجل، هي استقامة استواء الظاهر والباطن وتناسقهما، بحيث لا تفعل فعلاً يخالف القول، أو تقول قولاً يخالف الفعل، فهي تعيش

(١) رواه النسائي والحاكم وغيرهما، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (١٨٣٨).

بالإسلام واقعًا حقيقيًا صادقًا ملموسًا، فنجد عملها يوافق قولها، ومخبرها يوافق مظهرها؛ لأنها تعمل ألف حساب لقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣} [الصف: ٢ - ٣].

لذا فإن استقامتها على الدين يحملها على طاعة مطلقة لله تعالى ولرسوله ﷺ بلا تردد أو تكاسل، ثم تنطلق بكل خضوع وحب لله طالبة رضا الله والدار الآخرة.

ليس بينها وبين زوجها مشاكل حول طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، مؤتمرة بأوامر الشرع، مجتنبة لنواهيه:

الإيمان قد اختمر في قلبها، والخوف من الله أصبح قائدها، والجنة غايتها؛ لذا فهي تقف على قاعدة السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ، وبالتالي لا توجد مشاكل بينها وبين زوجها في ذلك الجانب.

وهذا بخلاف من زوجها يحضها على طاعة الله وهي معرضة، ومن زوجها يحبب إليها الإيمان والعمل الصالح وهي نافرة متبعة لهواها، فتنشأ مشاكل خطيرة بينهما، تجعل الحياة الزوجية بينهما دائمًا في قلق واضطراب.

وإن عبودية المرأة لربها تدفعها إلى كل طاعة تُقربها من الله تعالى، فهلاَّ قامت المرأة بالوظيفة التي خُلقت من أجلها، ألا وهي عبادة الله تعالى وحده.

وعلاوة على ذلك فهي يقظة الالتزام: وأعني بذلك أنها لا يفوتها فرصة تستطيع أن تعلم أولادها من خلالها سُنّة مثلاً، أو توجه زوجها إلى طاعة غفل أو كسل عنها، إلا ونبهت وأرشدت.

فإذا عطس ولدها مثلاً، لا تترك الأمر يمر بدون تعليم أو توجيه فتعلمه أن يقول: الحمد لله، فإذا تعلمها لا تنسى أو تتكاسل أن ترد عليه فتقول: يرحمك الله، ثم يرد عليها الولد: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وهذا مثال يوضح ما أعنيه بيقظة الالتزام عندها، وهذا ناشئ بالطبع من انشغالها الدائم بدينها، لدرجة أنها لا تُفوِّت فرصة تستطيع أن تعلم من

خلالها أدبًا أو خلقًا إسلاميًا إلا وقامت به.

وكذلك تعلم ابنها أذكار الاستيقاظ من النوم، وأذكار الصباح والمساء، وتسأل زوجها لِمَ لَمْ تصل الفجر اليوم. وهكذا

* * *

[من فتاوى النساء للشيخ الشعراوى رحمه الله]

- تحت عنوان - لماذا نتزوج -.
- الزواج
- السؤال: لماذا نتزوج؟
- الجواب: إن الزواج هو أساس المجتمع، وأية حركة في الحياة وفي المجتمع تستند في الأساس على مسألة الزواج. ويريد الحق سبحانه وتعالى أن يضمن الاستقرار والسعادة للكائن الذي كرّمه واستخلفه في الأرض وجعل كل الأجناس مسخَّرة لخدمته.
- يريد الحق سبحانه أن يصدُر ذلك الكائن عن ينبوع منهجيّ واحد؛ لأن الأهواء المتضاربة هي التي تُفسد حركة الحياة، فأراد أن يصدُر المجموع الإنسانيُّ كله عن ينبوع عَقَديّ واحد، وأراد أن يحميَ ذلك الينبوع من أن يتعثر بتعدد النزعات والأهواء.

ولذلك ينبهنا سبحانه إلى هذا الموقف. وهو عز وجل يريد سلامة الوعاء الذي سيُوجِدُ ذلك الإنسانَ بعد الزواج، فبالزواج ينجب الإنسان وتستمر الحياة بالتكاثر، ولذلك لابد من الدقة في اختيار الينبوع الذي يأتي منه النسل، ومن هنا تأتي أهمية اختيار الرجل للزوجة المؤمنة الصالحة، وكذلك اختيار المرأة للزوج المؤمن الصالح.

- إن للإنسان عمرًا محدودًا في الحياة وسينتهي؛ لذلك يجب أن يستبقيَ الإنسانُ النوعَ في غيره. كيف؟
- نحن نتزوج كي يرزقنا الله بالذرية والبنين والحفدة وتستمر الحلقات، وهذا استبقاء للنوع الإنسانيّ، والحق سبحانه يريد أن يكون الاستبقاء للنوع كريمًا؛ لذلك يأمرنا الحق سبحانه أن نستبقيَ النوع بأن

نختار له الوعاء الطاهر، فإياك أن تستبقيَ نوعًا من وعاء نجس اختلَط فيه ماءُ أناس متعددين فلا يدري أحد لمن يُنسَب الولد فيصيرَ مضيَّعًا في الكون مجهول النسب، فأوضح الله للإنسان أن يختار لنفسه الوعاء النظيف ليستبقيَ النوع بكرامة. والحصول على المرأة النظيفة إنما يكون بما شرعه الله، أي بالزواج فقط.

(وقد حفَل القرآن الكريم والسنة النبوية بالآيات والأحاديث التي ترغب في الزواج، منها: {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١]، وقوله: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [النساء: ٣]، وقوله: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} [النور: ٣٢]، وقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١].

- ومن السنة المطهرة، أخرج البخاريّ ٥٠٦٥ ومسلم ١/١٤٠٠ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء».

- وأخرج مسلم ١٤٦٧/ ٥٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».

- وروى ابن ماجه ١٨٥٧ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة إن أمَرَها أطاعته، وإن نظَر إليها سرَّته، وإن أقسَم عليها أبَرَّته، وإن غاب عنها نصَحَته في نفسها وماله». وضعفه الألبانيّ في ضعيف ابن ماجه ٤٠٨.

- وروى ابن ماجه ١٨٥٦ عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأيَّ المال نَتَّخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك. فأوضَعَ على بعيره فأدرَك النبيَّ ﷺ وأنا في أثَره، فقال: يا رسول الله، أيَّ المال نَتَّخذ؟ فقال: «ليتَّخِذْ أحدُكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا

ذاكرًا، وزوجةً مؤمنةً تُعين أحدكم على أمر الآخرة». وصححه الألبانيّ في صحيح ابن ماجه ١٥٠٥.

- وروى الطبرانيّ ١١٢٥٧/١٣٤/١١ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «أربعٌ من أُعطِيهُنَّ فقد أُعطيَ خيرَ الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجةً لا تَبغيه حَوبًا في نفسها وماله». قال الهيثميّ في مجمع الزوائد: رواه الطبرانيّ في الكبير والأوسط، وإسناد أحدهما جيد.

- الحَوب - بفتح الحاء المهمَلة وتُضَمّ - هو الإثم.

- وروى أحمد في المسند ١٦٨/١ عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثةٌ ومن شقاوة ابن آدم ثلاثةٌ؛ من سعادة ابن آدم المرأةُ الصالحةُ والمسكنُ الصالحُ والمركبُ الصالحُ، ومن شقاوة ابن آدم المرأةُ السوءُ والمسكنُ السوءُ والمركبُ السوءُ». ورواه الحاكم ١٥٧/٢/ ٢٦٤٠ وصححه.

إلا أنه قال: «والمسكن الضيق». وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٢.

إلا أنه قال: «أربع من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهَنيءُ، وأربع من الشقاء: الجارُ السوءُ، والمرأةُ السوءُ، والمركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيقُ».

وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاريّ.

- وروى الحاكم في المستدرك ١٧٥/٢/ ٢٦٨١ والطبرانيّ في الأوسط ٥٢٢/١/ ٩٧٦ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحةً فقد أعانه على شطر دينه فليتَّق الله في الشطر الباقي». وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

- وروى الترمذيّ ١٦٥٥ وابن حبان في صحيحه ٤٠٣٠ عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف». وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

- وروى البيهقيّ ٧٨/٧/ ١٣٢٣٣ والطبرانيّ في الكبير ٣٦٦/٢٢/

٩٢٠ عن أبي نَجيح رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان مُوسِرًا لأن يَنكِحَ ثم لم يَنكِحْ فليس مني».

- قال المنذريّ: رواه الطبرانيّ بإسناد حسن والبيهقيّ، وهو مرسل، واسم أبي نجيح يَسار، بالياء المثناة تحت، وهو والد عبد الله بن أبي نَجيح المكيّ.

(انتهى كلام الشيخ رحمه الله)

- أسأل الله أن يزوج شباب المسلمين من المسلمات العفيفات حتى تنتشر الفضيلة في مصرنا الحبيبة وأسأل الله أن يحصن فروج المسلمين والمسلمات، آمين.

* * *

obeikandl.com